عين المدينة

نبنيـها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

في المدينة...
- العنوسة في زمن الثورة ص5
- خطر السلّ يتفاقم ص6
- الـخبز مجاناً في دير الزور ص7
- الرشوة على الحواجز الأسدية ص11
- معبر الموت في حلب ص12
- من تدمر إلى هارفارد ص13
- بطل من هذا الزمان ص15
- عصام زهر الدين وجدّه وابنه ص16

عين المدينة | العدد (25) | 1 نيسان 2014

مجلة نصف شهرية مستقلة

طفل على حرّاقة نفط - عدسة أحمد - دير الزور

في حاجة الثورة إلى نظام

لا تفتقـر الثـورة إلى العـقول المتميّزة في مجالاتٍ مختلفة، فقد حرّضت طاقات وأذهـان أعـدادٍ يصعب إحصاؤها، بعد طول ركودٍ في كآبة وخواء حكم الأسد وابنه. ولكن ما بات ملحاً هو وجود نظام ذي طابع مركزيٍّ يحكم مساراتها العسكرية والمدنية في خطوطٍ عامة. وقد مرّ الوقت الذي كنا نتغنى فيه بالعفوية التي ميّزت عام الثورة الأوّل، حين قامت على بؤرٍ متباعدةٍ في أنحاء البلاد، مما جعل من المستحيل على أجهزة الأمن أن تقضي عليها باستئصال عمودها الفقريّ، لأنه لا وجود له أصلاً.

لكن، ومنذ العام الثاني للثورة وحتى الآن، تزداد الحاجة إلى كتلٍ كبرى تندرج في مشروعٍ موحّد، تقوده بخطواتٍ مدروسةٍ ضمن خُططٍ تتكامل بالنظر إلى الخريطة السورية بشكلٍ عام، لا بالتركيز على الأفق الضيّق للمنطقة أو المدينة الواحدة.

ورغم البطء الملحوظ والمضرّ، تسير الأمور في هذا السياق؛ من النواحي العسكرية والمدنية والخدمية. ودون ذكر أية تجربةٍ بعينها، يمكن للمراقب تلمّس معالم التيارات العريضة في الأنحاء الفسيحة لروح الثورة تلتئم وتنمو وتنتظم في هياكل تأخذ مهامّها بجدّيةٍ متزايدة، وتسعى إلى تنظيم عمل كوادرها بشكلٍ تكامليٍّ واحترافيّ.

هذه هي طبيعة المرحلة. غير أن هذا لا يعفي أياً منّا من القيام بمسؤولياته في الدفع في هذا الاتجاه، ودعم هذه «الطبيعة» حتى تصبح واقعاً معاشاً، والحرص على روح العمل الجماعيّ وما يتطلبه من ميزاتٍ وواجباتٍ لم نعتدها حتى الآن.

خلافٌ عربيٌّ دوليٌّ متجدّدٌ حول القضية السورية... والعالم يأخذ صفة المراقب لساحة المواجهات

هيئة التحرير

لا تخفي مجمل التطورات الراهنة على القضية السورية، محلياً ودولياً، أن المواجهة العسكرية على الأرض باتت في الصدارة بشكلٍ شبه تامّ. بينما يبدو الجدل السياسيّ الخارجيّ حالةً هامشيةً في ظلّ تغيّرين واضحين شهدتهما الأسابيع الماضية؛ أولهما حالة اليأس الشعبي من أية جهودٍ سياسية، وخاصةً بعد فشل مفاوضات مؤتمر جنيف2، وثانيهما فتح جبهة الساحل السوري من جديد، وهذه المرّة من مدينة كسب الحدودية.

وبدا مع الأسبوع الأخير من شهر آذار أن الأطراف الدولية الأساسية المؤثرة في القضية السورية باتت أيضاً في حالة مراقبةٍ لتطورات العمل العسكريّ في ريف اللاذقية. وربما دخل بعض هذه الأطراف في حالة ترقبٍ وحيرةٍ قبل اتخاذ موقفٍ صريح من تلك المعركة.

النظام يستغلّ خسائره لصالح تأجيل تسليم الترسانة الكيماوية

سارع النظام السوري إلى استغلال التطوّرات على جبهات الساحل وريف دمشق وحماة للتراخي في تسليم ما تبقى من ترسانته الكيماوية. فقد جاء تصريح مبعوث النظام السوريّ لدى الأمم المتحدة، بشار الجعفريّ، في هذا السياق قائلاً بأن حكومته قد تضطرّ إلى تأجيل النقل بسبب الوضع الأمنيّ، وقد لا تفي بمهلة أخرى لنقل برنامجها من الغازات السامّة إلى خارج البلاد.

ومن جانبها قالت رئيسة البعثة الدولية المشرفة على عملية تدمير الأسلحة الكيماوية السورية إن سوريا قامت بتجميع نحو 40 بالمئة من ترسانتها من الأسلحة الكيماوية في حاوياتٍ لنقلها إلى خارج البلاد وتدميرها.

وكانت البعثة المشتركة قد ألحّت على السلطات السورية بضرورة استئناف عمليات النقل في أسرع وقتٍ ممكن، للوفاء بالجداول الزمنية لإتمام تفكيك برنامج الأسلحة الكيماوية السوريّ وتدميره.

من القمة العربية الأخيرة في الكويت | رويترز

أصدقاء سوريا: الانتخابات الرئاسيّة مهزلة

وفي ظلّ تراخي المجتمع الدوليّ ككلّ، ووقوفه موقف المتفرّج تجاه تطوّرات الوضع السوريّ، جدّدت مجموعة أصدقاء سوريا وقوفها ضد ترشح الأسد للانتخابات الرئاسية المزمع حصولها في يوليو المقبل، قائلةً بأن هذه الانتخابات لن تكون شرعيةً، وأنها ستمثل "مهزلةً ديمقراطية، وستكشف رفض النظام لقواعد جنيف، وستزيد حدّة الانقسامات في البلاد". وفي بيانٍ صادر عن مجموعة أصدقاء سوريا ورد أن: "عمليةً انتخابيةً يقودها الأسد تشكل إهانةً للأرواح البريئة التي سقطت خلال النزاع".

جدل المقعد السوريّ في القمّة العربية

من جانبها كرّرت الأنظمة العربية تخبّطها وخلافاتها تجاه سوريا بشكل أكثر وضوحاً خلال القمة التي عقدت مؤخراً في الكويت. فبعد أن سلم مقعد سوريا للائتلاف الوطنيّ السوريّ لم يتمّ حسم قضية تمثيل سوريا في القمة. وهو ما جدّد الخلافات بين من رأى في الائتلاف ممثلاً شرعياً ومن فضّل بقاء المقعد السوري شاغراً، هذا المقعد الذي هدّدت سبع دول بالانسحاب من القمة في حال تم تسليمه رسمياً للائتلاف. وهو ما ولّد إشكالاتٍ خلال الجلسات عنوانها الموقف من القضية السورية.

جدلٌ روسيٌّ أمريكيٌّ من جديد

بعد محادثاتٍ بين وزير الخارجية الروسيّ سيرجي لافروف ونظيره الأمريكيّ جون كيري في باريس مؤخراً، صرّح لافروف أن القيادة الأمريكية لن تزوّد فصائل المعارضة السورية بالمضادّات الجوية، وأن ما تتناقله وسائل الإعلام حول ذلك غير حقيقيّ، وهي تسريباتٌ مزعومةٌ بعد زيارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما إلى المملكة العربية السعودية. واعتبر لافروف أن موقف واشنطن اليوم يتفق مع الموقف الروسيّ حول حظر تصدير أنظمة الدفاع الجوي إلى أية نقطةٍ ساخنة.

ولم يلق تصريح لافروف رداً واضحاً من جون كيري، الذي كرّر في تصريحاته الأخيرة ضرورة تفعيل الحلّ السياسيّ للقضية السورية. في حين أكدت مصادر سعوديةٌ مطّلعة أن الرئيس الأمريكي، وخلال لقائه بالعاهل السعوديّ، بات أقرب، أكثر من أي وقتٍ مضى، إلى الاقتناع بتسليح الثوار بمضادّات الطيران ومضادّات الدروع المتطوّرة. ويبدو أن الأسابيع القادمة ستحسم الجدل والتأكيدات المتناقضة حول هذه المسألة.

الحرّ يصل إلى البحر...والثوّار يتقدّمون نحو اللاذقية

هيئة التحرير

المرصد 45 | ريف اللاذقية

كان التطور الميدانيّ الأهمّ خلال الأيام الماضية هو ما حققته الكتائب الإسلامية وبعض فصائل الجيش الحرّ في معارك ريف اللاذقية. إذ اعتبر التقدم الذي تمّ إحرازه هناك، بالسيطرة على كسب والمرصد 45 وقرية السمرا وجبل تشالما والنبعين وغيرها من القرى المجاورة، بمثابة فتح واسع لجبهة تعتبر من أهمّ جبهات الصراع مع قوات الأسد، نظراً لقربها من مدينة اللاذقية وريفها، الذي يعتبر المنبع البشريّ الأول لقوّات النظام وشبيحته، ولذلك كان الساحل السوري المنطقة الأكثر هدوءاً خلال سنوات الثورة.

واللافت في هذه المعركة أن كلّ الحشود العسكرية المجهّزة بأحدث العتاد الحربيّ لم تستطع حتى الآن استرجاع السيطرة على المرصد 45، الذي يعتبر نقطةً استراتيجيةً هامةً في ريف الساحل، لارتفاعه الشاهق وإمكانية رصد مساحاتٍ واسعةٍ من خلاله. فقد باءت الحملات العسكرية المتتالية لجيش النظام بالفشل. ومنيت مجاميع الشبيحة، ممثلةً بما يسمّى "قوّات الدفاع الوطني" وهي الميليشيا الأكثر قوةً في الساحل، بمقتل قائدها هلال الأسد، إضافة إلى قياديين آخرين خلال المواجهات.

وكان انتصار الثوّار في معركة "الأنفال" بمثابة استعادة نقاط القوّة في المنطقة الساحلية، وخاصة جبلي الأكراد والتركمان اللذين تعرضا، وخلال أكثر من عام، لقصفٍ يوميٍّ دون أن تتطور المعارك فيهما إلى أكثر من مناوشاتٍ ورميٍ متبادل بالقذائف.

كما أن ما قدّمه الثوار من دلائل على عدم التعرّض للمدنيين في المنطقة دحض مزاعم النظام بارتكاب مجازر تجاه الأرمن، وهم الأكثرية التي تقطن مدينة كسب ومحيطها. إذ تبيّن أن من تبقّى من سكان المدينة هم اليوم تحت رعاية الثوّار دون تعرّض أيٍّ منهم لأذى، وأن المصابين منهم جرّاء المعارك يلقون عنايةً طبيةً في المشافي الميدانية.

ريف دمشق عودة المواجهات على نقاط التماسّ

لم تكن معركة الساحل وحدها التي استعادت قوّتها في خارطة المواجهات، فقد جهّزت مجموعةٌ من فصائل المعارضة والجيش الحرّ في الغوطة الشرقية بريف دمشق لحملةٍ عسكريةٍ تحاول من خلالها التقدّم على جبهات المليحة وجوبر والمتحلق الجنوبيّ. إلا أن تلك الحملة لم تحقق أهدافها بعد، فقد سخّر النظام سرب طيرانٍ كاملٍ للحدّ من تقدّم الثوار في تلك المناطق بعشرات الغارات يومياً، ولذلك لم تستطع قوّات المعارضة حتى الآن تحقيق أيّ تقدم على صعيد الجبهة الأكثر قرباً من وسط العاصمة.

إدلب معارك صدى الساحل

كانت المعارك المتجدّدة في خان شيخون بريف إدلب، والتي أطلق عليها الثوّار اسم صدى الأنفال، أكثر فاعليةً وسرعةً على الأرض. فقد استطاعت الكتائب المعارضة في المنطقة إكمال السيطرة على عدّة حواجز تابعةٍ لجيش النظام، الذي لم يبقَ تحت سيطرته في المنطقة إلا أربعة حواجز من أصل 14، وهو ما يراه نشطاء تقدّماً على الطريق الدوليّ، ومحاولةً لقطع طرق الإمداد التي يعتمدها النظام، وتوسيعاً لدائرة سيطرة المعارضة على ريف إدلب.

وفي حلب أيضاً كان تقدّم الثوار من جهة الليرمون والمدخل الشماليّ للمدينة بمثابة قطع طرق إمدادٍ للنظام، وعزلٍ للريف الشماليّ في حلب عن مدفعيّة وقوّات النظام المتمركزة على أطراف هذا الريف، وخنقٍ للنظام مجدّداً في أماكن وجوده غرب المدينة.

حماة ودرعا معارك الحفاظ على المكتسبات

حاولت مجمل القوى الثوريّة المقاتلة في كلٍّ من حماة ودرعا الحفاظ على التقدّم الذي حققته خلال الأسابيع الماضية. فلم تستطع قوات النظام، بحملتها الجديدة على مورك وريفها، استعادة أيّة نقطةٍ جديدة، بل تكبّدت تلك القوّات خسائر كبيرة، خاصةً بعد أن أصبحت نقاط التمركز التي يعتمدها الثوار أكثر قوةً واستقراراً.

وفي درعا يبرز المشهد ذاته من خلال توجه الثوّار نحو تأمين وتمشيط المناطق التي خضعت لسيطرتهم مؤخراً، وبخاصةٍ محيط السجن المركزيّ كونه منطقة ألغام. ولم تفلح أيضاً حملات النظام لاستعادة تلك النقاط سواءً في ريف درعا أم ضمن المدينة التي ما تزال تشهد مواجهاتٍ يوميةٍ على نقاط التماسّ.

حين تعمل المرأة في حرق النفط الخام

سقراط العلي

من مخيّم سعلو للنازحين، انتقلت السيدة (س) مع أطفالها الخمسة شمالاً إلى قرى الخابور، هرباً من الوضع الكارثيّ في المخيم وأملاً بفرصة عملٍ في مكانها الجديد. وهو ما حدث فعلاً، إذ حصلت (س) على وظيفةٍ في واحدةٍ من حرّاقات النفط العشوائيّة المنتشرة هناك.

حرّاقات النفط الخام | ريف دير الزور | عدسة أحمد | خاص عين المدينة

من سعلو إلى الخابور

بعد نزوحها مع عائلتها من بيتهم قرب مطار دير الزور العسكريّ إلى مخيّم سعلو في ريف المحافظة الشرقيّ؛ حاولت هذه الأم الثلاثينية أن تحمي أولادها وبناتها من الجوع والضياع، لكن هذا لم يحدث في المخيّم المعروف بتردّي أوضاع ساكنيه المعيشية. مما دفع بها إلى البحث عن مكانٍ آخر تتوافر فيه بعض أسباب العيش، فقادت أسرتها إلى قريةٍ صغيرةٍ على ضفة نهر الخابور، ذلك النهر الذي لم يتبقّ منه إلا الاسم بعد عقودٍ متلاحقةٍ من الجفاف. كانت أعمال النفط بأنواعها المختلفة، من استخراج وتكرير وتصفيةٍ إلى البيع، قد أتاحت فرص عملٍ للكثير من السكان. في البداية تعلمت (س) مهنة التكرير العشوائيّ بواسطة الحرّاقات البدائية من نسوةٍ أخرياتٍ يعملن في حرق النفط، لتحصل بعد ذلك، وبعد أن أتقنت العمل، على وظيفةٍ بأجرٍ يوميٍّ في حرّاقة. وهي فرصةٌ ثمينةٌ بالنسبة إليها، رغم صعوبة العمل والمشقة الكبيرة فيه، إضافةً إلى خطورته وآثاره السيئة على صحّتها. لكن، وكما تقول: "لقمتنا معجونة بالتعب. وأنا أكافح وأتحمل كلّ شي عشان ولادي".

خرج ولم يعد

لم تبدِ (س) أيّة رغبةٍ في الحديث عن زوجها، واكتفت بالقول إنه تركهم في هذه الظروف الصعبة وذهب. لا تشكو هذه المرأة كثيراً إنما تتسلح بالصبر والإرادة. فساعات العمل الطويلة أمام كتلة النار والدخان في حرّاقة النفط عملٌ شاقٌّ لا يتحمّله كثيرٌ من الرجال فكيف بامرأة؟! لكن نجاحها في تأمين لقمة الخبز لأبنائها يستحق هذا العناء. ووفق تعبيرها: "هذا هو جهادي.. أن أبقى فوق رؤوس أبنائي أوفّر لهم ما استطعتُ من كسر خبزٍ ليعيشوا".

تتحدّث (س) عن حرق النفط كأيّ خبيرٍ بتفاصيل مهنته ومشكلاتها؛ فللنفط الخام أنواعٌ مختلفةٌ بعضها لا يستغرق وقتاً طويلاً للتكرير، والبعض الآخر يستهلك أكثر. وخزّان حرّاقة (س)، الذي يتّسع لخمسة براميل، قد يستغرق تسخينه عشر ساعاتٍ في الوجبة الواحدة وقد يستغرق وقتاً أقلّ. والأجرة اليومية واحدةٌ مهما تغيّر النوع، ألفا ليرةٍ عن كلّ وجبةٍ أو عملية تكريرٍ في الحرّاقة. "عملي نصّ يوم تقريباً. وعدد الساعات يتغير على هوا نوعية النفط. بي نفط يأخذ مني أكثر من 12 ساعة حتى يخلص حرقه وفرزه، وبي نوعية ما تأخذ حتى 5 ساعات. وبالنوعين أجرتي ألفين ليرة باليوم ما تزود وما تنقص". لا يكفي هذا المبلغ اليوميّ، في مرّاتٍ كثيرةٍ، لسدّ احتياجات منزلها أو خيمتها. وفي مرّاتٍ كثيرةٍ أيضاً يتوقف العمل كله بسبب اضطرابات سوق النفط العشوائيّ ومشتقاته؛ فأيّ اشتباكٍ يقع على طريق التجار القادمين من ريف حلب يوقف عملية البيع وبالتالي التكرير والحرق، مما يعني فقدان الأجرة اليومية للسيدة التي تخشى كثيراً من مثل هذه الاضطرابات.

أمنيةٌ صغيرة

ليس لدى (س) طموحٌ مهنيّ، بأن تطوّر أعمالها النفطية وتصبح مثلاً صاحبة حرّاقةٍ تشتري النفط الخام على حسابها وتكرّره في حرّاقتها الخاصة وتبيعه. فلو امتلكت المال الكافي لإنشاء حرّاقةٍ ستترك هذا العمل فوراً، وستشتري عدداً من رؤوس الماشية من غنم أو بقر وتعمل في تربيتها. فهذا عملٌ أفضل ألف مرّة – وفق تعبيرها – من حرق النفط الخام. وهو كذلك أقلّ حرجاً لها ولأولادها وبناتها. ويتيح لها وقتاً إضافياً تقضيه معهم، فهي لا تستطيع العناية بهم الآن بما يكفي، وابنتها الكبرى تقوم بهذا الدور بعد أن تركت المدرسة. بل وتعتني بأمها أيضاً، بتحضير الماء الساخن والصابون لها عندما تعود مساءً بلباس العمل؛ الثوب الطويل والجزمة البلاستيكية والحزام عند البطن، واللثام الأحمر الذي يتحول في نهاية اليوم إلى اللون الأسود بسبب الدخان. تتذكر (س) أن استنشاق الدخان الأسود لوقتٍ طويلٍ كلّ يوم قد يسبب لها أمراضاً خطيرة، ولكنّ هذا لن يوقفها أبداً عن العمل.

العنوسة.. همٌّ جديد

هنادي عبد الوهاب

همٌّ جديدٌ تزامن ظهوره مع إطالة عمر الثورة السورية، لكنه يختلف عن باقي الهموم التي أثقلت كاهل الأحرار في هذا البلد بأنه يستهدف جنساً معيّناً وشريحةً معينة، وهي الصبايا اللاتي تأخر زواجهنّ، إذ بات شبح العنوسة يقضّ مضاجعهنّ، ويحيل حياتهنّ إلى كابوسٍ كبير. فالنزوح بين أرصفة المدن وفي المخيمات جعل الكثير من العائلات في وسطٍ غريبٍ يضطرّ أفرادها فيه إلى التزام التواصل الحذر في هذه المجتمعات الجديدة.

بعيداً عن الأهل والجيران

منى (32 عاماً) فتاةٌ من دير الزور، تعيش مع أمها وأختها في غرفةٍ بإحدى مراكز النزوح في محافظة الحسكة. لم تستطع إكمال تعليمها بعد الشهادة الإعدادية بسبب الظروف المادية البسيطة لأسرتها. عبّرت عن معاناتها من تأخر زواجها بالقول: كنا نقيم في حيّ الحميدية بدير الزور، وهو حيٌّ يتميّز بالحميمية الشديدة بين سكانه، إذ إن قسماً جيداً من الأسر جيرانٌ منذ أكثر من ثلاثة أجيال، لذلك الجميع يعرف الجميع، وعلاقات الناس - خصوصاً من سكان الحيّ الأساسيين - علاقاتٌ عميقةٌ وجميلة. وقبل أن نضطرّ إلى النزوح (وسكان الحميدية هم من أوائل النازحين من محافظة دير الزور، بسبب خصوصية علاقة هذا الحيّ بالحراك المسلح)، عندما كنت في منزلنا، لم تكن تمضي مدّةٌ طويلةٌ حتى يقرع بابنا خطيبٌ لي، ولكني كنت أتمنى - كغيري من الصبايا - أن أحظى بنصيب أكثر ملائمةً لي ولظرفي الأسريّ. أما خلال هذ السنوات من عمر الثورة فلم تطلب يدي إلا مرةً واحدة، ولم يكن الشخص ملائماً أبداً، فهناك فرقٌ في السنّ، وكان متزوجاً ولديه أولاد.

انتظار طابور الأخوات

ثمة أسرٌ تصرّ على أن تزوج بناتها بالترتيب العمري، الأمر الذي يحول دون تيسير نصيب البنات بسبب تعثر زواج أختهنّ التي في المقدمة. وحول هذه المشكلة أفادتنا هديل (34 عاماً، خريجة معهد إعداد المدرّسين)، والتي تقيم هي الأخرى مع أهلها في أحد الصفوف في مدرسةٍ بالميادين: أعاني مع أخواتي الخمسة، واللاتي كلهنّ في سنّ الزواج، من عقلية والدينا المتشبثة بفكرة التسلسل في تزويج البنات. فبعد زواج أختي الكبيرة، قبل الثورة بأشهرٍ قليلة، ترسّخت لدى أهلي فكرة أن يمشي نصيبنا بالترتيب. لكن ما عقّد الموضوع هو أننا في وضعٍ طارئ، وأغلب أصدقاء الأسرة وأقاربها قد نزحوا إلى أماكن ومدنٍ أخرى وتوزّعوا في قرى الدير المختلفة، بالإضافة إلى قسم بسيطٍ يقيم في محافظتي الحسكة والرقة، فلهذا عدد الخطّاب الملائمين لظرفنا قليلٌ جداً. وها أنا كأختٍ رابعةٍ في الترتيب أنتظر زواج أختين أكبر مني سناً - رغم ندرة العرسان - حتى تتاح لي الفرصة.

الظروف غير المهيَّأة للشباب داعمٌ قويٌّ للعنوسة

لما كان النزوح شاملاً، فإن أعداداً كبيرةً من الشباب فقدت وظائفها الأساسية، وإما ظلت من دون عملٍ أو مارست مهناً ذات مردودٍ متدنٍّ. ولعلّ الأعداد الكبيرة من اليد العاملة الوافدة لها الدور الأكبر في تقليل الأجور هذا، الأمر الذي يصبّ بالمحصّلة في تردّد أو امتناع كثيرٍ من الشباب الذين هم في سنّ الزواج عن خطبة الفتيات. هذا ما أوضحه صلاح صبري (35 عاماً، خريج معهدٍ صناعيّ)، وهو شابٌّ من حيّ العمال بدير الزور، بقوله: أعيش حالياً في قرية الطيبة المجاورة للميادين، أنا وأفراد عائلتي التسعة، في منزلٍ مكوّنٍ من غرفتين. وأعمل لاثني عشرة ساعةً في اليوم (وأتقاضى أجراً شهرياً 20000 ل.س) كي أستطيع مساعدة أسرتي، إضافةً إلى دفع إيجار المنزل وهو 15000 ليرة شهرياً، إذ إن راتب والدي التقاعديّ (14300 ليرة) لا يكفي للمعيشة فكيف للإيجار! ولست أنا فقط من يعمل، فهناك أخٌ صغيرٌ لي يعمل كأجير مقهى بيومية تقدر بـ300 ليرة. وكلّ ذلك حتى نسدّ الرمق لا أكثر.

فهل من خلاص لرحلة المعاناة هذه، لكي تنعم أسرنا بالاستقرار، وبالتالي يتاح لأبنائها التفكير في بناء حياةٍ جديدة؟

في ريف دير الزور: خطر السلّ يزداد...

د. سامي الحمد

ظهر العديد من إصابات السلّ في ريف محافظة دير الزور، وتم إثباتها مخبرياً ونسيجياً. توزّعت هذه الإصابات على عدّة مناطق أبرزها العشارة التي تصدّرت الأعداد بعشر حالات، والميادين وبقرص والشحيل والدوير وصبيخان والطيّانة والصور. يزيد هذا التوزّع المناطقيّ الكبير المشكلة وإمكانية العدوى التي يصبح من الصعب حصرها والإحاطة بها.

من المعروف أن عصيّة السل تصيب عدة أجهزةٍ من الجسم. وفي حال عدم المعالجة يموت أكثر من 50% من المرضى. وتبرز معها العديد من المشاكل العلاجية، إذ إن هذه العصيّة تنمو ببطء، ولذلك يجب إخضاع المرضى لبروتوكولاتٍ علاجيةٍ تتراوح مدّتها بين 6 أشهر وسنتين. ومن الشائع أن تبدي هذه العوامل المرضة مقاومةً تجاه العلاج عند المرضى الذين سبق أن عولجوا من قبل، أو الذين لم يلتزموا ببروتوكولٍ علاجيٍّ معين. ولهذا السبب تستخدم عدةٌ أدويةٍ عند الإصابة بالسلّ، لمنع أو تأخير ظهور السلالات المقاومة.

وهناك عدّة قواعد للمعالجة، و هي :

1- المشاركة الدوائية.
2- الجرعة الصحيحة.
3- إعطاء الأدوية يومياً أو مرّتين في الأسبوع.
4- المدّة الكافية.
5- مراقبة العلاج بشكلٍ مباشر، ويتمّ ذلك من خلال:

أ. سريرياً: إذ تنخفض الحرارة خلال 3_2 أسابيع.

ب. شعاعياً: تتأخر عودة الصورة إلى الوضع الطبيعي لمدّةٍ طويلة، ويمكن أن تبقى بعض الندبات التليفية.

ج. الفحص المباشر يصبح سلبياً بعد شهرٍ إلى شهرين.

د. يصبح الزرع سلبياً خلال شهرين إلى ثلاثة أشهر، وبذلك يصبح المريض غير معدٍ. إلا أنه يجب الاستمرار بالعلاج كي لا تظهر مقاومةٌ وينكس المريض.

أما بالنسبة إلى المعالجة الوقائية فتكون بإعطاء الآيزونيازيد والريفامبين لستة أشهر في الحالات التالية:

1- انقلاب تفاعل السلّين من سلبيٍّ إلى إيجابيٍّ دون أعراض.
2- تفاعل السلّين السلبيّ لأشخاص في تماسٍّ مع مريض السل، وخاصةً الأطفال المخالطين. إذ إن تفاعل السلّين قد ينقلب لديهم إلى إيجابيٍّ خلال مدة ثلاثة أشهر، إلا أن المرض الفعال يمكن أن يظهر وبشدةٍ قبل انقلاب تفاعل السلّين، ولذلك يجب علاج جميع الأطفال المخالطين. وعند عدم المخالطة، سواءً بشفاء المريض أم بالعزل، يُجرى تفاعل السلّين للطفل فإذا كان سلبياً يوقف العلاج .

صعوباتٌ في تأمين الأدوية

عن هذا الموضوع تحدثنا مع الدكتور عماد المصطفى، رئيس المكتب الصحيّ في المحافظة والمعنيّ بالتواصل المباشر مع وحدة تنسيق الدعم، وسألناه عن المشاكل التي تواجههم لمكافحة هذا المرض والإحاطة به، فأجاب: "أحصى المكتب الصحيّ العديد من الحالات، وتواصل مع بعض المنظمات كهيئة شام ووحدة تنسيق الدعم، وأطلع فريق الرصد الوبائيّ على هذه الحالات لمتابعتها والعمل على علاجها والحدّ من انتشار العدوى". وللتنويه، يقود الدكتور عماد حملة اللقاح ضد شلل الأطفال، وهو ينفذ الآن الجولة الرابعة من هذه الحملة التي تقوم بجهدٍ متميزٍ للقضاء على هذا المرض.

وتواصلنا مع كلٍّ من السيد زاهر، الممرّض في مشفى بقرص الميدانيّ، والأستاذ حسن، المسؤول الميدانيّ في المركز الثوريّ في مدينة العشارة، واللذين أنشأا فريق عملٍ لرصد الأمراض الموجودة في المنطقة ومتابعتها، تحت إشراف إحدى المنظمات الطبية. وحدثانا عن الصعوبات الكبيرة التي يواجهانها في تأمين الأدوية اللازمة، فقد تمّ تأمين عددٍ محدودٍ يكفي لعشرة مرضى فقط، في حين أنه تمّ إثبات الإصابة السلّية لدى حوالي 23 مريضاً، فما بالك بالمخالطين لهؤلاء المرضى، والذي تجب وقايتهم. أي أننا أمام مشكلةٍ حقيقية، وهي تأمين الأدوية اللازمة للمرضى وللحدّ من الإصابات. وقد تمّت مراسلة العديد من المنظمات الإغاثية والطبية، كمنظمة الميديكال ريليف ومنظمة يداً بيد لأجل سورية ووحدة تنسيق الدعم، وتم إطلاعهم على الوضع. وجميعهم وعدوا بتأمين الأدوية اللازمة.

ونحن بدورنا، ومن خلال مجلة "عين المدينة"، نناشد جميع الهيئات والمنظمات الطبية التعاون من أجل القضاء على هذا المرض والحدّ من انتشاره.

الأدوية الرئيسية، أو ما يسمى بأدوية الخط الأوّل، هي:

- الآيزونيازيد Isoniazid
- الريفامبين Rifampin
- الإيثامبيتول Ethambutul
- البيرازيناميد Pyrazinamid
- الستربتومايسين Streptmycin

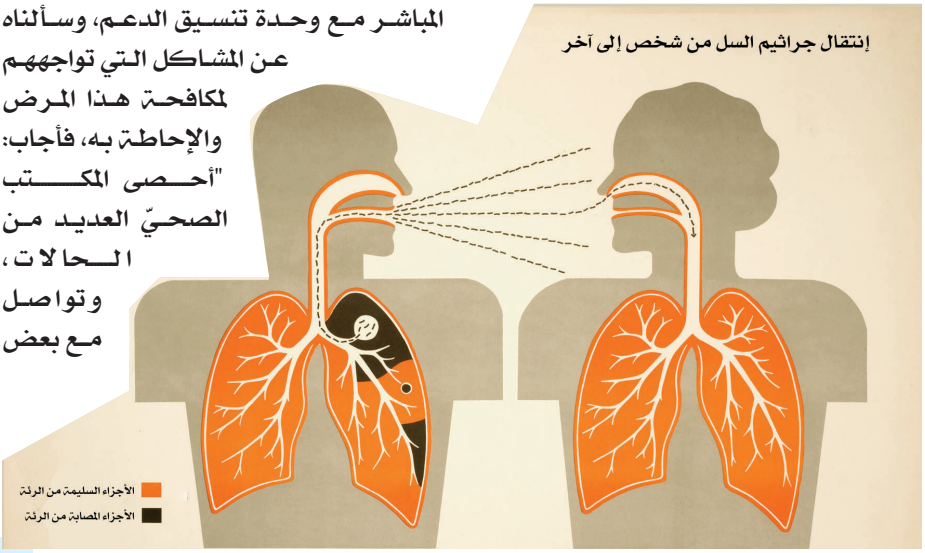

من إنجازات المجلس المحليّ: الخبز مجاناً في دير الزور

أحمد الصالح

نجح مجلس مدينة دير الزور المحليّ في تأمين الخبز مجاناً للسكان، مما أسهم إلى حدٍّ كبيرٍ في تخفيف معاناتهم اليومية. تستحق هذه التجربة الاهتمام والرعاية من قبل المؤسسات والهيئات الداعمة.

تتسع دائرة الحرب التي يشنّها النظام على معارضيه، باستهدافه المخابز في عدة مناطق خارجةٍ عن سيطرته، إضافةً إلى حصارها ومنع دخول المواد الغذائية إليها، مما يعطي فكرةً عن طبيعة الحرب التي باتت تستهدف سبل الحياة ومقوماتها، ولهذا كانت المعاناة كبيرة. أدّى أسلوب النظام هذا إلى شحٍّ في الخبز تعاني منه كافة المناطق المحرّرة، حيث يصعب تأمين مادة الطحين نظراً لانحسار المساحات المزروعة بالقمح نتيجة قصف المناطق الزراعية ونزوح المزارعين، بالإضافة إلى ارتفاع أسعار الوقود وفقده في كثيرٍ من الأحيان. وإن توافر الطحين فصعوبةُ المواصلات تقف عائقاً أمام تأمينه، إضافةً إلى جشع بعض التجار.

انظر الغلاف الخلفي لمزيد من الصور

لم تسلم مخابز دير الزور من القصف مما فاقم من أزمة الخبز في المدينة، فقامت بعض المنظمات الإغاثية بإعادة تأهيل أحد الأفران الآلية المدمّرة، والتناوب على إنتاج مادة الخبز وبيعه بأسعارٍ مدعومةٍ إلى حدٍّ ما. وبالرغم من أن هذا الإجراء ساعد الأهالي المنكوبين، إلا أنه ظلّ عاجزاً عن كفايتهم، وخصوصاً مع توافد أعدادٍ كبيرةٍ من العائلات إلى المدينة، ما أدّى إلى ارتفاع الطلب على الخبز، مع ندرة الطحين في الأسواق وصعوبة تأمينه. فقام المجلس المحليّ بإجراء دراسةٍ ميدانيةٍ لأعداد الموجودين في المدينة واحتياجاتهم الغذائية، ودراسة واقع المخابز التي تديرها المنظمات الإغاثية والمخابز الأهلية، وأسعار الخبز في السوق. وعلى أثر تلك الدراسة قام المجلس بإعادة تأهيل أحد المخابز، ثم بدأ بتوزيع الخبز مجاناً على الأهالي والمشافي الميدانية. لكن الخطورة الناجمة عن تجمّع الأهالي أمام المخابز لساعاتٍ طويلةٍ حملت المجلس على اتخاذ إجراءاتٍ تلائم واقع القصف، فعمل على افتتاح مراكز لتوزيع الخبز في الأحياء.

وأبدى الكثير من المدنيين ارتياحاً لطريقة توزيع الخبز عن طريق هذه المراكز، مما جعل تأمين الخبز أكثر أماناً من ذي قبل، حين كانوا يضطرّون إلى الذهاب أو إرسال أبنائهم إلى الأفران مباشرةً. لكن العديد من العوائل تشتكي قلة الحصّة المخصّصة عن احتياجهم، مما جعلهم يضطرّون إلى شراء الفارق من السوق المحلية بأسعارٍ مرتفعة. وكثيرٌ من العوائل ليست لديها القدرة الشرائية اللازمة.

في لقائنا مع أحد المسؤولين في المنظمات الإغاثية العاملة على تأمين مادة الخبز، أفادنا بأن هذه المنظمات تقوم بدعم الخبز حسب استطاعتها، وخصوصاً بعد انقطاع الطرق بسبب العمليات العسكرية، وبالتالي عدم وصول الطحين إلى المدينة. وبما أن إمكانيات دعم الخبز بشكلٍ كاملٍ غير متوافرة لديها، تقوم المنظمات بتأمين الطحين اللازم فقط. أما السعر المخصّص لربطة الخبز المكوّنة من 8 أرغفة، والبالغ 50 ل. س؛ فهو لتغطية تكاليف الوقود وأجور العاملين في الأفران فقط.

أما رئيس المكتب الإغاثيّ في المجلس المحلّي فقد قال: يسعى المجلس جاهداً لدعم الخبز رغم كل الصعوبات التي تقف حائلاً دون ذلك، ومنها انقطاع الطرق وعدم وصول السلال الغذائية إلى المدينة، إضافةً إلى انخفاض استطاعة المطاحن الخاصة عن تأمين الكميات المطلوبة، مما أفقد المجلس إمكانية تخزين كمياتٍ استراتيجيةٍ من الطحين، وكذلك انقطاع المياه المستمرّ بسبب القصف، وانقطاع التيار الكهربائي. لكن، رغم ذلك، يعمل المجلس بطاقته القصوى لتأمين هذه المادة الضرورية. بالإضافة إلى أن افتتاح مراكز توزيع الخبز قد قلل من الخطورة الناجمة عن وقوف الأهالي أمام الأفران، وذلك من خلال 11 مركزاً منتشرةً في الأحياء، توزّع ربطات الخبز مجاناً، ويقوم الأهالي بالتوافد إلى هذه المراكز خلال دوامها (8–11 صباحاً) ليأخذوا حصتهم. وتمّ تنظيم عملية التوزيع من خلال بطاقةٍ تحوي على بياناتٍ باسم الحيّ والعائلة وعدد الأفراد، مجدولةٍ بأيام الأسبوع، ليقوم الموزّع بوضع إشارةٍ على البطاقة. وعبر هذه الخطة قام المجلس أيضاً بتأمين فرص عملٍ للعديد من أبناء المدينة برواتب مقبولة.

لا يواجه الثائرون حرباً عسكريةً فقط، بل حرباً أخرى من الحصار والتجويع. لكن عزيمة السوريين تدفعهم إلى ابتكار أساليب جديدةٍ للحياة من رحم معاناتهم، ليثبتوا للعالم شرعية قضيتهم وأحقيتها، وأن رحيل نظام الأسد شرطٌ ضروريٌّ للحياة عموماً، ناهيك عن السياسة.

في الميادين:
مقاهٍ ومطاعم جديدةٌ على ضفّة الفرات

بلال عبد القادر

عانت الميادين طيلة العقود السابقة من إهمالٍ شديدٍ في البنى التحتية، ولذلك قد يأتي الحديث عن استثمار شاطئ النهر في هذه المدينة ثانوياً أمام انقطاع الماء والكهرباء والحفر التي تملأ الطرقات. ولكن في ظلّ هذا الزحام الذي تشهده الميادين، إضافةً إلى وجود رأس مالٍ ضخم فيها نتيجة تحوّلها الى المركز الاقتصادي الأوّل للمحافظة، والسوق الاستهلاكيّ الأهم لعائدات النفط؛ كان لا بدّ من توظيف الميزة التي تحسد عليها المدينة، وهي موقعها على نهر الفرات، فكانت المقاهي والمطاعم المفتتحة حديثاً على ضفة النهر واحدةً من مظاهر هذا الاقتصاد.

أنشئت في السنوات السابقة عدّة مطاعم على شريط شاطئ النهر المقابل للمشفى الوطني ولمركز التنمية الريفية. ولعلّ للوضع المادي البسيط لأغلب سكان الميادين وريفها آنذاك دورٌ في تفعيل هذه المطاعم كمقاهٍ أيضاً، وخصوصاً في فصل الصيف. وعن ذاك يحدثنا أبو أنور، وهو أحد مرتادي هذه الأماكن في الصيف، بالقول:

أتردّد أنا ومجموعةٌ من الأصدقاء بمعدّل مرتين في الأسبوع على الأقلّ إلى أحد المطاعم النهرية لتناول الشاي وشرب النارجيلة على شاطئ الفرات صيفاً، وذلك لجمال المكان وكونه مكشوفاً، ونسائمه عليلة. لكن هذه الأماكن تتصف بأسعارها المرتفعة إذا ما قيست بالمقاهي العادية ذات السقوف المغلقة، ولذلك لا يستطيع أغلب زوار المقهى التقليديين المجيء إليها بشكل دوريّ. فبساطة معادلة الجلوس في هكذا أماكن كانت واضحة: (قعدة حلوة مقابل مبلغ أكبر من المال).

جانب من ضفة الفرات في الميادين

ظاهرة المقاهي النهرية

كان لقدوم هذا الكمّ الكبير من الوافدين إلى مدينة الميادين أثرٌ كبيرٌ في التزاحم على موارد هذا البلد، الذي يشكو أهله أساساً من الإهمال. ولكن لهذا العدد من الناس كبير الفائدة من ناحية تطوير الاقتصاد لا على مستوى الكمّ فقط بل على مستوى الكيف أيضاً. وما انتشار المقاهي المجاورة لشاطئ النهر إلا طريقةٌ لتطوير هذا الشريط الذي يعاني من الإهمال. كان ذلك ما أوضحه لنا حسام الفهد، وهو مالك أحد هذه المقاهي، بالقول:

منذ أواخر الشتاء بدأت بالتحضير للمقهى ليكون جاهزاً مع قدوم فصل الربيع، لأن الجو يصبح عندها مقبولاً للجلوس في الخارج. وفعلاً، ورغم حداثة المقهى الذي عمره عدة شهور فقط، بدأ عددٌ كبيرٌ من الوافدين يرتاده، وخصوصاً في أوقات الذروة، والتي هي في هذا الفصل بين الرابعة عصراً والثامنة مساءً. وعندما تزداد درجة الحرارة مع قدوم أشهر الصيف فإن ساعات الذروة قد تبلغ ضعف هذه المدّة، أي من أربع ساعات إلى سبع أو ثماني ساعات، إذ يبقى عددٌ جيدٌ من مرتادي المقاهي حتى الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة ليلاً.

أسعارٌ منافسة

وفي حديثه عن الغلاء الذي قد يكون متوقعاً في الأسعار، بحكم كون المقهى مجاوراً للنهر، أجاب الفهد: عمدنا أن تكون أسعارنا مشابهةً تماماً لأسعار المشروبات أو النارجيلة في المقاهي التي ضمن البلد، وذلك كسباً للزبائن. كون الربح يكون هنا بكثرة ارتياد الزبائن، وليس بغلاء الموادّ التي يطلبها الزبون.

غياب الموافقات وضعٌ مريحٌ نسبياً

يتابع الفهد كلامه: سابقاً كان للموافقات التي تؤخذ لافتتاح مقهى أو مطعم من الإزعاج والتعقيد والتكلفة ما يجعل البعض يتراجع عن فكرة المشروع ذاته، ليتوجّه إلى بابٍ آخر لاستثمار ماله. أما الآن، ولأنه لم يتبلور بعد قانونٌ جديدٌ ملزمٌ من الأنظمة من قبل المجلس المحليّ أو أيّة جهةٍ أخرى تضبط القوانين، فقد سهّل هذا الأمر على من يملكون عقارات (طابق أول، أو بيت عربي) مجاورة للنهر أن يستثمروها. وهناك حالياً مقهيان جديدان من النمط الذي يجمع بين رخص الأسعار وجمال الجلسة على شاطئ النهر. وبتصوّري العدد قابلٌ للزيادة في الأشهر المقبلة، نظراً لما لذلك من عائداتٍ مربحة.

خدمات القوريّة:

انقطاعٌ متكرّرٌ للكهرباء، وأحياءٌ كاملةٌ لا تصل إليها المياه

محمود الأحية

مثل غيرها من المدن المحرّرة، تعاني مدينة القوريّة في ريف دير الزور من تراجع مستوى الخدمات، رغم محاولات المجلس المحلّي التغلب على المشكلات التي سبّبت هذا التراجع. وتأتي خدمات الكهرباء ومياه الشرب في أول اهتمامات المجلس.

ترجع مشاكل انقطاع التيار الكهربائيّ إلى خروج محطاتٍ كهربائيةٍ عن الخدمة بسبب أعطالها، أو نتيجة تعرضها - كما يقول أحد مهندسي الكهرباء - لانتهاكاتٍ من سرقة معدّاتٍ وآلياتٍ وتجهيزاتٍ أساسيةٍ ووقود، وخاصةً في أشهر الفوضى التي أعقبت تحرير ريف دير الزور. مما انعكس بشكلٍ سلبيٍّ على كفاءة الشبكة الكهربائية، وأدّى إلى عجزٍ في الاستطاعات التي تزوّد محطة التوليد الموجودة في حقل التيّم. مما يضطرّ القائمين على الكهرباء إلى توزيعها بشكلٍ متقطعٍ بين المناطق، علماً أن مدينة القورية تحتاج إلى حوالي 10 ميغا واط في الساعة من الكهرباء.

يشرح محمود الخليفة، وهو مدير مكتب الخدمات في مجلس القورية المحليّ، واقع خدمة الكهرباء فيقول: توجد في المدينة خمسون محوّلةٍ كهربائيةٍ هوائيةٍ وعشر محوّلاتٍ أرضية. كما يوجد مركزٌ لطوارئ للكهرباء. ويقوم المجلس المحليّ، ممثلاً بالمكتب الخدميّ، بالوقوف على أهمّ الصعوبات والمعوّقات التي تعترض سير العمل في هذا القطاع الخدميّ الهامّ لحياة الناس. إذ قام المجلس، منذ بداية الثورة، بكافة أعمال الصيانة الفنية والميكانيكية لمستلزمات هذا القطاع، وتأمين المحروقات لآليات مركز الطوارئ وصيانتها. فقدّم بدائل لأكثر من سبع محوّلاتٍ معطوبة، بمساعدة الأهالي مناصفةً. وقام بتأمين قطع تبديلٍ للمحوّلات، من فيوزاتٍ وقواطع وكابلاتٍ وأسلاك، وصيانة الشبكات الكهربائية الهوائية والأرضية لأحياء المدينة، بالرغم من وجود نقصٍ في واردات المجلس. علماً أن العمر الافتراضي للشبكات الكهربائية قد انتهى منذ حوالي سنة، بسبب الاستجرار الزائد والملحوظ في الآونة الأخيرة، نتيجة اعتماد الأهالي على الكهرباء بشكلٍ رئيسيٍّ في حياتهم اليومية كبديلٍ عن مصادر الطاقة الأخرى، وخاصة بعد انقطاع مادة الغاز المنزليّ أو قلة توافرها. وهنا نناشد الجهات والمنظمات المختصة مساعدتنا في أعمال الصيانة، والعمل على تجديد الشبكة الكهربائية لمدينة القورية بشكلٍ كامل. علماً أن المجلس أعدّ دراساتٍ خاصةً بمشاريع تجديد شبكة الكهرباء، وقدّم ما يستطيع من دعمٍ ماليٍّ ولوجستيٍّ لتحسين أداء الشبكة ضمن الإمكانات المتوافرة. وأذكر هنا أن الإنفاق الكليّ للمجلس على قطاع الكهرباء في العام الماضي بلغ ثلاثة ملايين ليرة.

محطة مياه في القورية

أما عن مياه الشرب فتوجد في مدينة القورية ثلاث محطات تصفيةٍ تؤمّن المياه لمعظم الأحياء. وهي لا تكفي لتغطية المدينة كاملةً، فلا تصل المياه إلى الأحياء البعيدة عن هذه المحطات، مثل حيّ "البازول" وأطراف حيّ "الحسن الأقرع" وحيّ "الطعس". يتحدث الخليفة عن دور المجلس المحلي في دعم وتحسين خدمة مياه الشرب في القورية، فيقول: أشرف المجلس المحليّ، ممثلاً بالمكتب الخدميّ، على حُسن سير عمل محطات المياه الثلاث في المدينة، بعد انقطاع التدفقات المالية والدعم من الجهات المختصة في النظام منذ بداية الثورة. إذ قام المجلس بتقديم خدمات الصيانة الفنية والميكانيكية للمحطات الثلاث، وتأمين ثلاث مولداتٍ كهربائيةٍ احتياطيةٍ لتشغيل المحطات في حال انقطاع التيار الكهربائيّ، وتأمين مادة المازوت للمولدات، وتأمين مادة الكلور أيضاً، وصرف رواتب وأجور لستة عمال مناوبةٍ فيها، وتأمين كافة المصاريف الإدارية لهذه المحطات. وقد بلغ إجمالي إنفاق المجلس المحليّ على هذه المحطات في العام الماضي 3400000 ل. س، بالإضافة إلى تقديم مشروع إعادة هيكلة محطة مياه القورية الرئيسية بمبلغ قدره 29 ألف دولار، وتمّ تنفيذه خلال العام نفسه، بدعمٍ من بعض المنظمات التابعة لقوى المعارضة. يقول الخليفة: نظراً للتزايد السكاني والعمراني في المدينة، والذي يتطلب تأمين محطة مياهٍ رابعة؛ نناشد الهيئات والمنظمات الإنسانية والخيرية الداعمة توفير مستلزمات هذه المحطة، وكذلك المساعدة في أعمال صيانة شبكة أنابيب المياه للتغلب على المشكلات في حقل المياه شديد الأهمية في حياة السكان وصحتهم.

أطباءٌ وصيادلةٌ سوريون...
بين فصلهم من الخدمة أو الانتقال إلى مناطق النظام

نزار محمد

تعاني سوريا اليوم من نقصٍ حادٍّ في الكوادر الطبيّة، ومحدودية نسبة توافر الأدوية بالتزامن مع الاحتياجات المتراكمة لبعض أنواع الأدوية التي أصبحت مفقودةً بشكل كامل. ويرجع ذلك إلى إغلاق العديد من شركات تصنيع الدواء، الأمر الذي أدّى بدوره إلى اعتماد المرضى في تحصيل دوائهم على الدول المجاورة مثل تركيا ولبنان. وفي سياقٍ منفصلٍ هاجر أغلب الأطباء السوريين بحثاً عن فرص عمل أوفر لهم، في حين قرّر بعضهم البقاء في سوريا على خطوط الجبهات لمعالجة الجرحى، إيماناً منهم بواجباتهم الثوريّة.

التشبيح يطال هروب الأطباء

بعدما فقد نظام الأسد نسبةً كبيرةً من الأطباء الذين هجروا المناطق التي ما زال يسيطر عليها، بسبب المضايقات الأمنيّة عليهم، أصدر نقيب أطباء سوريا لدى النظام (عبد القادر الحسن) منذ عدّة أيّام قراراً جاء في محتواه "كلّ طبيبٍ قد غادر البلاد دون إعلام النقابة وبشكل خطّيّ سيتم شطبه".

والمقصود هنا بمغادرة البلاد هو مغادرة تلك المناطق التي يسيطر عليها النظام. وقد جاء هذا القرار سعياً وراء إجبار الأطباء على العودة إلى أحضان النقابة التي توجد مراكزها في مناطق النظام.

واقعٌ صحيٌّ سيء

بعد أن مرّت أكثر من ثلاث سنواتٍ على عمر الثورة، استنزفت مخزون مصانع الأدوية من الموادّ الأوليّة. وفي المقابل أدّت انتهاكات الأسد إلى تدمير الكثير من المشافي. وقد أكّدت منظمة الصحة العالميّة على ذلك في آخر تقرير لها، عندما ذكرت أنّ 38% من المشافي الحكوميّة قد أصبحت خارج الخدمة بشكل كلّي، فيما خرجت 22% منها عن الخدمة بشكلٍ جزئيّ. أمّا بعض المناطق التي تشهد اندلاع الاشتباكات بشكلٍ مستمرٍّ فقد خرجت مستشفياتها عن الخدمة بواقع 100%، ما أدّى إلى اللجوء إلى إسعاف الجرحى والمصابين إلى الدول المجاورة مثل تركيا ولبنان والأردن.

أطباءٌ غادروا ومتطوّعون صامدون

بالنظر إلى واقع الأطباء السوريين حالياً يقول مطّلعون إنّ أكثر من 80% منهم قد غادروا البلاد بغية الاستقرار والعمل خارج سوريا، بسبب أنّ الحياة داخل الأراضي السورية أصبحت صعبة. رغم الحاجة الملحّة إليهم في هذه الأيّام العصيبة، إذ تو في العديد من الضحايا بسبب التأخّر في إسعافهم. وهذا ما أدّى بدوره إلى إطلاق الدورات التدريبيّة في الإسعافات الأولية، وقد قام بها أطباءٌ لا زالوا داخل سوريا وبشكلٍ تطوّعيّ.

حسن. م أحد متطوعي الهلال الأحمر في مدينة منبج تكلّم لـ"عين المدينة" عن سبب انتسابه إلى هذه المنظمة، موضّحاً أنّ الهدف الأسمى إنسانيّ، وأنه لا زال حتّى الآن يعمل بشكلٍ تطوّعيٍّ هو ومجموعة من الشباب ممن حملهم حبّ الوطن على التفرّغ لخدمة المواطنين.

أما أيمن، وهو أحد سكان المدينة، فقد أشاد بجهود أعضاء الهلال قائلاً: "ما إن تُقصف المدينة حتى نراهم يأتون بسيارات الإسعاف على الفور لإنقاذ من تبقّى على قيد الحياة".

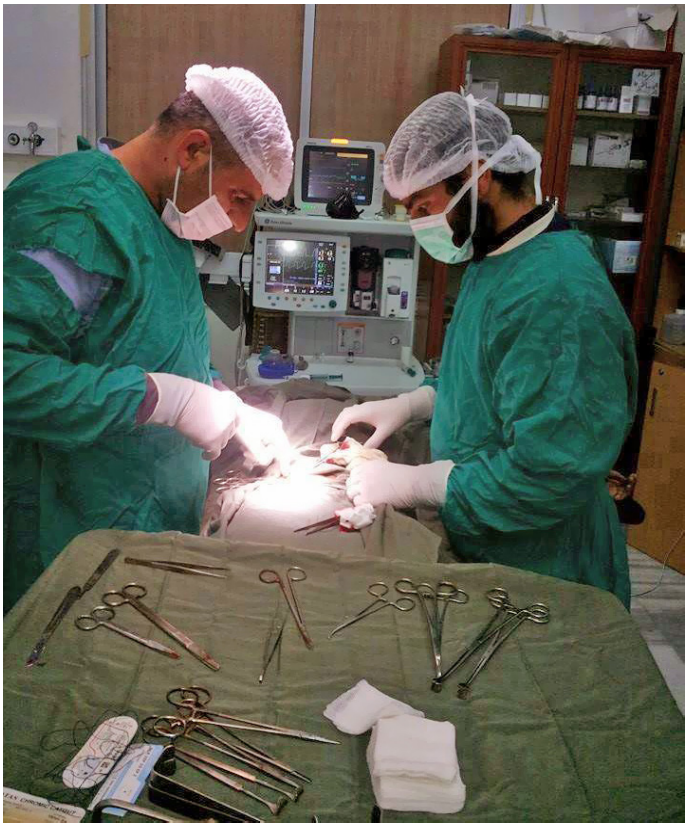

أثناء عملية جراحية في مشفى ميداني بريف حلب الشمالي

الأدوية وصعوبة تحصيلها

في المقابل، طالب أطباء مدينة حلب بعلاج مشكلة تناقص الأدوية، بعدما تجاوزت نسبة المفقودة منها الـ 40%، بالإضافة إلى الغلاء الذي تشهده أسعارها بسبب ندرتها.

وفي سياقٍ آخر قرّرت نقابة الصيادلة التابعة للنظام إعفاء الخريجين الجدد من شرط الخدمة في الأرياف، هادفةً من ذلك إلى حصر خدمتهم في المدن، وبالأخصّ تلك التي ما زالت تحت سيطرة النظام.

يأتي هذا الحصر الواضح من الشروط المفروضة على الأطباء والصيادلة بسبب نقص الكوادر الطبيّة في المدن الواقعة تحت سيطرة النظام من جهة، وبسبب ازدحام المشافي بالمرضى والجرحى من عناصر النظام وميليشيات حالش. ويرى الكثيرون أنّ هذه القرارات جاءت بغية التضييق على الأطباء والصيادلة بطرقٍ تبدو للعامة أنّها قانونيّة.

الحواجز كلاعبٍ أساسيٍّ في أزمة الغلاء

نصف مليون ليرةٍ رشوةٌ لمقدّمٍ من القرداحة

كمال اليوسف

تسهم الرشوة الإجبارية المقدّمة لحواجز النظام الأسديّ في رفع أسعار البضائع إلى حدٍّ كبيرٍ في أسواق المناطق المحرّرة.

يشكو نوري، وهو سائق سيارة شحنٍ يعمل على طريق دمشق، الابتزاز والمعاملة السيئة التي يلقاها من جنود الأسد على الحواجز، حيث تتحوّل الرشوة إلى عملية سلب. ويذكر بعض الوسائل التي لجأ إليها للتخفيف من الخسائر، فيقول: حتّمت علينا الأزمة اختيار أنواعٍ معينةٍ من البضائع، بحيث تكون غير قابلةٍ للكسر قدر الإمكان وليست سريعة التلف، وليست باهظة الثمن أيضاً، كلّ ذلك للتأقلم مع التأخير والتشليح الذي يتعرّض له الناس على حواجز الجيش النظاميّ.

ويضيف نوري: ذات يوم كانت حمولة سيارتي من المناديل وفوط الأطفال. وعند وصولي إلى حاجز أبو الشامات اشترط عليّ قائد الحاجز أن أعطيه خمسة طرودٍ من البضاعة، قيمة كلٍّ منها 1000 ليرةٍ سورية. رجوته أن يخفض الرقم المطلوب، لكنه صرخ في وجهي قائلاً: شو رأيك تنزّل كل بضاعتك هلق للتفتيش؟ وأمرني أن أصُفَّ (أركن) سيارتي في مرآب مجاور سمّاه مرآب الدبابات. وبعد أن تركته ليهدأ اقتنع بأن يعود إلى شرطه الأول، 5000 ليرةٍ سورية.

هذا على حاجزٍ واحد، ولكن عمليات التشليح استمرّت حتى دفعت ما يقارب 15000 ليرةٍ سوريةٍ على حمولةٍ بسيطة المربح أساساً، الأمر الذي يضطرّني إلى تحميل هذه الخسائر على من أعاملهم من تجّار الجملة، الذين يحمّلونها بدورهم على المستهلكين.

عصام العبّار، صاحب مكتبة

في الميادين كانت لنا وقفةٌ مع صاحب إحدى المكتبات، الذي حاول التخلص من أن يرسل طلبيةً مستقلةً بسيارة شحنٍ فلجأ إلى إحدى شركات النقل العاملة على خطّ الشام، والتي يشتهر أغلب سائقيها بعلاقاتٍ حسنةٍ مع حواجز الجيش النظاميّ، تتيح لهم التنقل أيسر من غيرهم. ولكنه لم يفلت من ابتزاز الشركة له كزبونٍ مقابل ما يتمتع به سائقوها من شطارةٍ في التنقل بين دمشق والميادين، إذ فوجئ بأن فاتورة نقل عدة صناديق من الكتب والقرطاسية قد بلغت 45000 ليرةٍ سورية. وحجّة الشركة في ذلك أنها تضطرّ إلى دفع مبالغ مقطوعةٍ عند كلّ حاجزٍ كي لا يفتّش الباص بدقة، فهذه الرشاوى التي يدفعها السائق، وهي بمعدّل 5000 ل.س على الأقلّ عند كلّ حاجز، هي بطاقة المرور التي تتيح له العبور منها بسهولةٍ نسبياً. يقول عصام: رغم أنني لست راضياً عن زيادة قيمة السلع على زبائني، إلا أنني مضطرٌّ إلى ذلك. فكيف لي تحمّل هذه الخسارة القسرية التي يفرضها علينا التشبيح وسلب الأموال؟

حاجز في دمشق | من موقع www.dw.de

شريف العمران، صاحب محل ألبسة

يشترك شريف مع عشرةٍ من أصحاب محالّ الألبسة الرجالية، تتوزّع بين الميادين والبوكمال، في نقل بضاعتهم، التي تتجاوز قيمتها الثمانية ملايين ليرة سورية في بعض الأحيان، مستخدمين سيارة قاطرة ومقطورة تنطلق من دمشق، بمعدل نقلةٍ كلّ شهرين إلى ثلاثة أشهر. الأمر الذي يسيل لعاب ضباط الحواجز، لتطوير تقنيةٍ لسرقة أكبر مبلغٍ متاح من هذه الحملات المغرية. وعن الطريقة التي يتّبعها هؤلاء التجار يقول شريف: نحن «نتفاهم» مع ضابطٍ برتبة مقدّم من القرداحة، على حاجزٍ مهمٍّ وأساسيٍّ من بين الحواجز الستة عشر، ويسهّل هو باتصالاته الخاصة مرورنا ببقية الحواجز، (طبعاً هناك تقاسمٌ بينه وبين المسؤولين عنها). ولكنه يتقاضى مبلغاً كبيراً جداً مقابل ذلك، يصل إلى نصف مليون ليرةٍ سوريةٍ عادةً على حمولتنا الكبيرة، فيضطرّ جميع هؤلاء التجار إلى أن يضيفوا إلى أسعار البضائع مبالغ كبيرةً هي الأرباح + أجور النقل والرشى. فمثلاً الجاكيت المصنوع من الجلد الصناعيّ نشتريه بـ2500 ل.س تقريباً ونبيعه بـ4500 ل.س في أسوأ الأحوال. وقس على ذلك.

الغلاء إذاً هو لعبةٌ من ألعاب النظام، يحاول بها أن يركّع من طالب بحقوقه من المواطنين، من خلال محاربتهم في رزقهم ولقمتهم. ولكن هيهات له ذلك من شعبٍ يقدّم الأرواح رخيصة، ولن يرضى بديلاً سوى النصر، مهما كلفه ذلك من ثمن.

معبر الموت بين حلب المحرّرة والمحتلّة

زاهر سحلول*
ترجمة وإعداد مأمون الحلبي عن مجلة الفورين بوليسي

في آخر يوم لمهمّتي في حلب طُلب مني أن أعاين طفلاً في الثالثة من العمر أصيب بطلقٍ ناريٍّ في الرأس من قبل قنّاص. كان اسمه حمزة رمضان. كان قلبه يخفق لكنه لم يُظهر أية علامةٍ من علامات الحياة. قيل لي إن القنّاصين استهدفوا حمزة وأمه وأخته بينما كانوا يركضون عبر ممرٍّ يفصل الجانب الشرقيّ لحلب عن الجانب الغربيّ. أصبح هذا الشارع يُعرف بمعبر الموت.

القنّاصون المتمركزون على أسطح ثلاث مبانٍ بقبضة النظام حوّلوا المكان إلى أرض للقتل. أم حمزة وأخته قتلتا على الفور. تم نقل الثلاثة بسرعةٍ إلى المشفى بسيارةٍ عابرة. منذ بدء المظاهرات الأولى في 2011 حاول النظام تصوير المعارضة على أنها متطرفة وإرهابية، متلاعباً بالمخاوف من القاعدة والجهاديين السائدة في الغرب. وقعت وسائل الإعلام الغربية في فخ النظام مصورةً النزاع كقتالٍ بين الحكومة والإرهابيين، وأحياناً مُسوّغةً ضمناً جرائم النظام ضد شعبه. لكن الواقع كما شاهدته أشد لؤماً بكثير. فحكومة الأسد تشنّ حرباً، ليس فقط ضد عدوٍّ مسلح، وإنما ضدّ شعبها أيضاً. كان هدفي من مهمتي الطبية خدمة ضحايا الحرب في تلك المدينة القديمة التي هي الآن نقطة تركز القصف الجويّ والبرّيّ. لم يكن بوسع أي قدرٍ من التدريب في التعامل مع الكوارث أن يكوّن قد حضّرني للواقع الفظيع للمشفى الذي زرته. أغلبية نزلاء مشفانا كانوا سكاناً محليين مصابين بشظايا من هجماتٍ بالبراميل المتفجّرة أو القصف العشوائي. لكن كثيرين، مثل حمزة، كانوا مدنيين تم استهدافهم مباشرةً وبأقسى طريقةٍ ممكنة من قبل القنّاصين. استعمال القناصين يُكذّب دعايات النظام، فالقنّاصون يعرفون تماماً من يستهدفون ويعرفون إن كان الهدف طفلاً أو مقاتلاً. معظم الضحايا يموتون فوراً، أما من يبقون أحياءً فمن المرجّح أن يعانوا من إعاقاتٍ دائمة. يلعب القنّاصون دوراً هاماً في ميدان المعركة الحديث لأنّ التكنولوجيا الجديدة جعلت مهمة القتل عن بعد أسهل بكثير. أثناء حرب البوسنة كان القنّاصون الصرب يقتلون المدنيين الذين كانوا يحاولون الفرار من المدينة، وقد غطّت وسائل الإعلام العالمية تلك الحوادث بشكلٍ واسع. إلا أن قنّاصي سوريا، بخلاف

معبر بستان القصر من الجانب المحرر

نظرائهم الصرب، يعملون بعيداً عن رقابة وسائل الإعلام إلى حدٍّ كبير. فحلب ليست مثل سيراييفو من جهة إمكانية وصول الصحفيين إليها، وضحايا القنّاصين السوريين يلفتون القليل من الانتباه، لذا يعمل قنّاصو الاسد بحصانةٍ تامة مستهدفين النساء والأطفال، ويقتلون فقط لنشر الخوف والكراهية والانتقام.

في بداية النزاع كان القنّاصون يستهدفون المدنيين كجزءٍ من إستراتيجية النظام لفضّ المظاهرات السلمية، مستخدماً الخوف الشديد ليثني الناس عن الانضمام إلى الحركة اللاعنفية. عندما نزل أهالي درعا إلى الشوارع ليطالبوا بإطلاق سراح الفتية الصغار كان القنّاصون بانتظارهم، فقتلوا أربعة محتجّين وجرحوا عدداً كبيراً منهم، وكان القنّاصون أيضاً بانتظار المظاهرات الأولى في مدنٍ سوريةٍ أخرى. كان من الواضح للأطباء الذين عالجوا الضحايا أن الإستراتيجية قد تغيّرت لاحقاً: لم يعُد القناصون يرعبون السكان بالتهديد بالطلقات العشوائية فحسب، بل يتقصّدون التسبب بأذىً غير عكوسٍ أو بالموت. حكى لي أطباءٌ حلبيون قصصاً فظيعة تصور نماذج سادية في أهداف القناصين. لقد حوّل القنّاصون عمليات القتل إلى لهوٍ مقرف، فبعض مطلقي النار يلعبون ألعاباً متحدّين أنفسهم بأن يصيبوا شخصين برصاصة واحدة، أو يقومون باصطياد القطط والكلاب الشاردة. دافيد نوت، وهو جرّاحٌ عمل في مناطق حروب عديدة، أمضى خمسة أسابيع في مشفانا وحكى للتايمز اللندنية أن القنّاصين كانوا يختارون التصويب إلى أجزاءٍ مختلفةٍ من أجساد المدنيين كل يوم. "من أول المصابين الوافدين في الصباح يمكن أن تعرف ما ستراه بقية اليوم" قال نوت. ويتذكر يوماً دخلت فيه المشفى امرأتان في مرحلة الحمل الأخيرة وقد أصيبتا برصاص القنّاصين. كلا الجنينين ماتا. في يوم آخر أصيبت 6 نسوةٍ حوامل بنيران القناصين. كانت النسوة جميعاً مصاباتٍ برصاصاتٍ اخترقت الرحم.

* طبيبٌ سوريٌّ يعيش في الولايات المتحدة. جاء في عدة مهماتٍ طبيةٍ إلى سوريا ومخيمات اللاجئين في السنوات الثلاث الأخيرة.

تقريباً كلّ طبيب قابلته في المشفى حكى لي عن أمٍّ حاولت العبور مع طفليها. عندما أسرعت ممسكةً بطفلٍ في كلّ يدٍ استهدف قنّاصٌ ابنها ذا الأربع سنوات فقتله فوراً. بدأت تصرخ بألم. ثم أصابت رصاصةٌ ابنها ذا الثلاث سنوات وقتلته أيضاً. جلست المرأة بين جثتي ولديها منتظرةً أن يستهدفها القنّاص لكن هذا لم يحدث. لقد أبقى عليها لتعيش محرومةً من ولديها وليتملكها إحساسٌ بفراغٍ مؤلم؛ هذا أمرٌ فعله القنّاصون مع أمهاتٍ سوريات كثيرات.

لقد نجح القنّاصون، والنظام الذي ينشرهم، في تحويل حركةٍ سلميةٍ من أجل ثورةٍ ديمقراطيةٍ إلى حربٍ أهلية، فزرعوا الخوف، وهجّروا عشرات آلاف المدنيين الفارّين بحثاً عن السلامة، وخلقوا الكراهية بين الجماعات العرقية والدينية، وسعّروا الطائفية، واجتذبوا التطرّف. لقد اغتالوا سوريا، التي تواجه مأساةً إنسانيّةً غير مسبوقة. إن حمزة، شأن الـ12000 طفل الذين قُتِلوا، ليس رقماً. لقد كان طفلاً يضجّ بالحياة، ومثل أيّ طفلٍ آخر، كان يلعب ويضحك ويبكي ويحلم. كان من الممكن أن يكبر فيصبح طبيباً أو محامياً، معلماً أو حتى رئيساً، لكن قنّاصاً حكومياً بلا قلبٍ انتزع منه تلك الفرصة. إن المذبحة عديمة الشفقة التي يبتلي بها النظام شعبه جريمةٌ نكراء يجب إيقافها.

من تدمر إلى هارفارد*

محمد عثمان

قصتي هذه واحدةٌ من قصص آلاف السجناء عديمي الرأي والذين اعتقلوا على يد عديمي الضمير في أيّ بلدٍ لا يقيم لحياة الفرد قيمةً ومنها سورية. لكنها ستضفي جوانب أخرى موثقةً بالصور وبتواريخ بذلت جهداً خاصّاً ألا أنساها.

بهذه الكلمات يفتتح د. البراء السرّاج كتابه المريع عن تجربته في سجن تدمر، والتي دامت تسع سنواتٍ عجاف، سجّل فيها في ذاكرته أسماءً وأياماً وتواريخ شهدت بعض ذرا حفلات الإعدام الجماعيّ أو التعذيب الوحشيّ، بشكلٍ صار معه هذا الكتاب دليلاً لحكايات ومصائر معتقلين، فضلاً عن رسم صورةٍ دقيقةٍ لوقائع الحياة اليومية في واحدٍ من أعتى سجون العالم.

وكما صار معروفاً من الشهادات، تبدأ سيرة السجين في تدمر بحفل الاستقبال بالكرابيج، التي وصلت ذات مرةٍ إلى رقم قياسيٍّ هو ألف كرباج، عندما تمّ استقبال من استدرجتهم مخابرات النظام من أفراد تنظيم «الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين» من الخارج. ويستمرّ التعذيب مع كلّ تفقد، ومع كلّ حركةٍ وسكنة. ولا غرابة إن استبشر السجناء عند صدور الأوامر بإيقاف خروجهم إلى الحمّامات أو الحلاقة خارج المهاجع، فمع كلّ حركةٍ يصبحون عرضةً لمزاج ووحشية السجانين وأعوانهم من المجرمين القضائيين الموثوقين، والذي قد يؤدّي إلى موت سجينٍ أو أكثر دون مساءلة.

يغلب على نزلاء هذا السجن أن يكونوا من الإسلاميين، مع وجود بعثيين عراقيين وشيوعيين، ولبنانيين تمّ تحويل 1500 منهم إلى تدمر خلال الربع الأخير من عام 1987 فقط! ولا يسمح لهؤلاء السجناء بالاختلاط، بل يجب عليهم وضع الطماشات على أعينهم عند نقلهم من مهجعٍ إلى آخر، إلى أن تمّ التعميم، في مطلع عام 1988، بوجوب وضع الطماشات أثناء النوم أيضاً! وفي صيف العام نفسه توفي 100 سجينٍ بسبب سوء التغذية. أما «أبو الشيّاب»، وهو سجانٌ برتبة رقيب، فقد كان مسؤولاً لوحده عن مقتل 50 – 100 سجينٍ من كبار السنّ واضحي الشيب، الذين كان يستهدفهم بشكلٍ خاصّ. يربّت أولاً على كتف الضحية بلطف، بينما السجناء جلوسٌ على أرض الباحة مغمضي الأعين، والأيدي معقودةٌ إلى الخلف، ثم يأمره بالاستلقاء بتأنٍّ على ظهره. وفجأة، يقفز «أبو الشيّاب» ضخم الجثة على بطن السجين الذي تتمزق أحشاؤه، فإما أن يقضي على الفور أو يساق إلى المشفى العسكريّ.

الجمهورية العربية السورية
وزارة الداخلية
قوى الأمن الداخلي
إدارة الأمن الجنائي
فرع التسجيل الجنائي
قسم السجل العدلي
تعتبر صالحة لمدة ثلاثة أشهر فقط
الرقم المتسلسل
خلاصة السجل العدلي (تذكرة رقم ٣)الصادرة
محكوم
محكوم
محكوم

بعد هذه السنوات في تدمر، والتي عُرض فيها السرّاج على «محكمة» دامت دقيقةً واحدة فقط، تمّ نقله إلى سجن صيدنايا حيث قضى أقلّ من ثلاث سنوات، يتخللها لقاءٌ واحدٌ كلّ عام تجريه لجنةٌ من كبار ضباط المخابرات مع السجناء لتقرّر من يستحق إخلاء السبيل منهم. وقد قرّرت هذه اللجنة إخلاء سبيله عام 1995، ليقضي بعدها عاماً تحت الرقابة الدورية لأجهزة الأمن، قبل أن يسمحوا له بالمغادرة إلى أمريكا لرؤية عائلته. وهناك سيبدأ حياةً جديدةً من الصفر، بدءاً بالسنة الجامعية الأولى وحتى حصوله على شهادة الدكتوراه.

* ظهر الكتاب على شبكة الإنترنت في صيف عام 2011.

مناطق النظام...

يوسف عبد الأحد

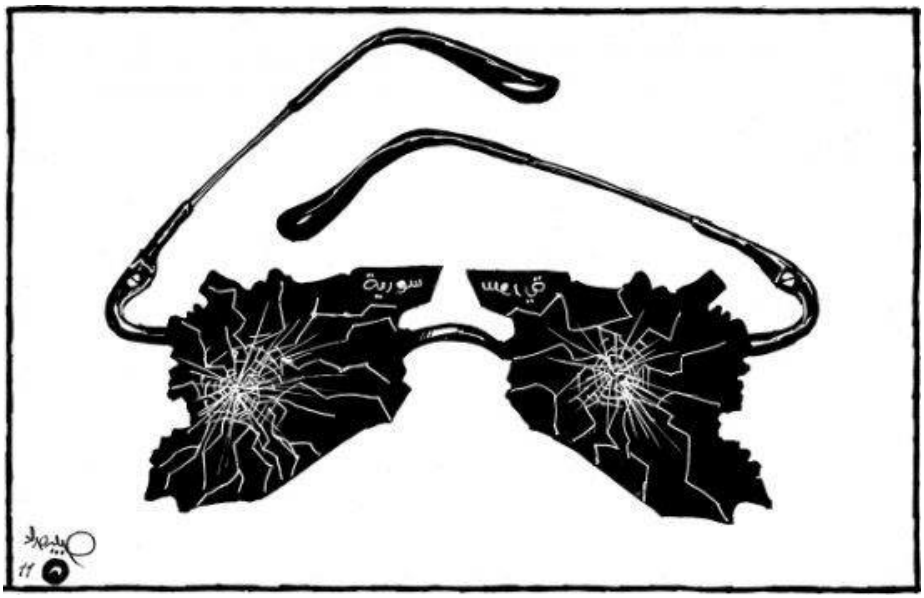

منذ أكثر من عام تقريباً، استقرّت الحدود الفاصلة أو خطوط التماسّ بين المناطق المحرّرة من حكم الأسد وبين تلك التي ما زالت تنتمي إلى سورية القديمة تحت ظلّ سطوته العسكرية والأمنية المباشرة. وما يشذّ عن هذه الحقيقة من أحداثٍ لا يلبث أن يؤكدها عند اندراجه في المجمل العام للخريطة السورية، أو باستعادة أحد طرفي الصراع ما سبق أن خسره من أحياء أو مجرّد شوارع وأبنية، بعد أيامٍ أو أسابيع قليلة.

ومن البديهي أن هذا منهكٌ للثورة بقدر ما ينخر في جسد النظام، الذي لم يعد قادراً على العيش لولا التغذية الخارجيّة التي صارت تمدّه بالمقاتلين والمال والسلاح بشكلٍ مباشرٍ ومعلن. ولكن، فضلاً عن هذا الإنهاك تنبغي ملاحظة أمارات شقاقٍ وتباينٍ عميقٍ في المزاج بين هاتين الكتلتين الجغرافيتين والبشريتين الكبيرتين، تهدّد الثورة بحوَلٍ إضافيٍّ يأخذ مكانه في خضمّ التيار الهائج لما أصابها من اضطرابات، طبيعيةٍ في الثورات، ولكن التنبيه إليها ومحاولة معالجتها أمران مطلوبان على الدوام.

في البداية ينبغي أن نتذكر أن المناطق الواقعة تحت سيطرة النظام، وإن كانت تضمّ كتلاً كبيرةً من مؤيديه بالفعل، لأسبابٍ طائفيةٍ أو لأن لديهم ما يخسرونه بزوالِه؛ هي مناطق مختلطة إلى حدٍّ كبيرٍ من مختلف النواحي، فيها الكثير ممن لا يؤيده، ومن استمرّ بالعيش تحت سلطانه كما فعلنا جميعاً لعقودٍ طويلة، مستخدمين التقية والمداراة، قبل الثورة وقبل التحرير. وأن المناطق التي خرجت عن حكمه، وإن كانت تضمّ الكتلة الأكبر من مناهضيه المسلّحين، الذين استطاعوا انتزاع مدنهم وقراهم وأحيائهم من براثنه؛ فإنها تحوي أيضاً أعداداً كبيرة من خصوم الثورة، الذين وجدوا أنفسهم في المناطق المحرّرة بفعل سواهم وبحكم الأمر الواقع، لا بإرادتهم الذاتية ولا برضاهم حتى. ومن هنا فإن ما قد يتبادر إلى أذهان قطاعٍ من الثوّار، من تقسيم العباد الناجم عن تقسيم البلاد، إلى فسطاطين متمايزين من المعارضين والمؤيدين، بحكم الوجود الجغرافي، أمرٌ فيه الكثير من الظلم، وهو ما قامت الثورة ضدّه منذ شعاراتها الأولى. فضلاً عن أنه يشكّك في مشروعية الثورة نفسها، إذا كانت تعبّر بالفعل عن أقلّ من نصف السكان فقط، وذلك بحكم اكتظاظ مناطق النظام بالنازحين الهاربين من بطشه هو بالذات بالقصف على المناطق المحرّرة، كما هو معروف.

ومن هنا يجب على قادة الثورة وناشطيها في القطاعين المدنيّ والعسكريّ أن يحافظوا على النظر بكلتا العينين لا بواحدة. وأن لا يدفعهم الألم المفرط الذي تعانيه مناطقهم جرّاء الهجمات البربريّة للنظام، وسياسات الحصار والتجويع والتشريد، إلى نظرةٍ وسلوكاتٍ تقودها الغرائز ومشاعر الحقد والانتقام ممن دفعتهم ظروف الثورة نفسها إلى النزوح الداخليّ إلى مدنٍ يسيطر عليها النظام، أو لعبت المصادفة وحدها دوراً في كونهم يعيشون في هذا الحيّ أو ذاك، مما لم تستطع قوّات المعارضة السيطرة عليه، أثناء الفوضى والارتجال والتقلبات الميدانية التي صاحبت تحرير هذا الطرف من المدينة، أو هذا الجزء من الحيّ دون غيره. فهل بناءً على هذه الخريطة شديدة التعرّج والعشوائية لمجريات معارك التحرير، يُقسم الناس إلى معارضين وموالين؟!!

وإذا كان التباين في النظرة إلى الشؤون المدنية في شطري سورية يحمل كثيراً من المشروعية الموضوعية، بحكم أن هموم سكان المناطق المحرّرة صارت في وادٍ آخر بالفعل، بالسعي المضني لتأمين أبسط أنواع الخدمات الحياتية الضرورية عبر هيئاتٍ مستحدثةٍ ومعونات خارجية، فيما ظلّ سكان مناطق النظام «ينعمون» بما تبقى لديه من أجزاء مؤسسات؛ فإن الأداء العسكريّ الذي صار يعامل من هم تحت حكم الأسد على أنهم أعداء مستهدفون هو أمرٌ بالغ الخطورة.

إذ يترتب على هذه النظرة التساهل في دماء سكان هذه المناطق، بحجّة القصف على مقرّات النظام بأسلحةٍ بدائيةٍ لا تكاد تصيب هذه المقرّات إلا بالصدفة، وغالباً ما يكون ضحاياها من المدنيين في منازلهم أو من المارّة بالصدفة في الشوارع والأسواق. فضلاً عن حصار هذه المناطق إن أمكن، والتضييق على وصول الموادّ الغذائية إليها، بذريعة قطع «طرق الإمداد» عن قوّات النظام فيها!!

بمثل هذه السلوكات، التي لا توافق شرعاً ولا سياسةً ولا أياً من قيم الثورة، ندفع معظم سكان هذه المناطق مكرهين إلى حضن من يحميهم منّا، ويضرب قواتنا بأشدّ الأسلحة تدميراً وفتكاً، كي لا نستطيع بعدُ إيذاء منازلهم وقتلهم، فهم ليسوا ملائكة.

بطلٌ من هذا الزمان

رضوان دياب

اعتدنا أن نكتب المراثي وصفحات التمجيد للأبطال بعد استشهادهم، وهذا حقهم وواجبنا، لكني سأكتب اليوم عن أبطال ثورتنا المرابطين على خطوط النار من خلال حكايات أحدهم الذي التقيته منذ عدة أيام.

ليست لهذا البطل المغمور أية مزايا استثنائية. فهو ربما لا يعرف أين تقع مدينة جنيف، لكنه يشتمّ روائح زنخةً تفوح من هناك لا تستطيع كل بارفانات العالم أن تغطي عليها. ولا يعرف هل الأولوية للسياسيّ أم للمعرفيّ عندما تناضل الشعوب لنيل حريتها من جلاديها. ويجهل الفرق بين المثقف العضويّ والمثقف التقليديّ. يحبّ أن يسمع سيرة عنترة وبطولات صلاح الدين. لم يقرأ "الثابت والمتحول" لأدونيس ولا "نقد العقل العربي" لعابد الجابري، وكذلك لم يقرأ الغزالي أو ابن تيمية. يُجلّ علي بن أبي طالب كما يُجلّ عمر بن الخطاب. لا يعرف طعم الشمبانيا والمكسّرات "الثقيلة"، لكنه يحلم بسلاح ثقيل يردّ به الأذى عن أبناء شعبه. عبارةً "لغةً خطابية" تجعله يحكّ رأسه ليفكّ أسرار معانيها، فما بالك بعبارة "لغة ريتوريكية"! ثقافته ليست "غربية" كحال بعض القياديين العتيدين في ثورتنا. يعشق منتخب بلاده بكرة القدم ويهوى الدبكة والرقصة العربية. سمفونيته المفضلة هي "الموت ولا المذلة". لم يلعب لعبة الكشتبان ولا لعبة الديالكتيك، سواءً الواقف على قدميه أم الواقف على رأسه. لم يضيّع عمره وهو يسأل ما العمل، بل شمر عن ساعديه وباشر العمل حين دقت ساعة الحقيقة. ولم يشغله كثيراً شكل التحالف المطلوب "أهو تحالف طبقاتٍ أم تحالف قوى ثورية؟". ولم يسمع بتحالف "قوى الشعب العاملة". ولحسن حظه لم تفتنه الليبرالية بشقيها "الأولد والنيو". ليس خبيراً بقضايا الإتيكيت، وقد يكون فظاً في بعض الأحيان إلا أنه دافئٌ وحنونٌ مع جميع من حوله. لم يكن أبداً طائفياً بل كان حريصاً، عندما تضرّر بيت أحد أصدقائه "العلويين" بقصف قوات النظام، على تأمين مكتبة هذا الصديق. هو الذي لم يقرأ يوماً غير القرآن الكريم وأحياناً جرائد الرياضة. لا يفكر كثيراً في شكل الدولة السورية القادمة؛ ما يهمه هو أن تكون دولة العدل والكرامة لكل أبنائها.

منذ بداية الثورة اختار الانحياز إلى صفّ "الغلابة" دون كبير اهتمام للتفاصيل السياسية، فهو ليس محللاً استراتيجياً ولا أستاذاً في العلوم السياسية. سألني ذات مرة عن الفرق بين المحلل الاستراتيجيّ ومحلل البول فقلت: "لا شيء سوى أن الأول شعر بالغيرة من الثاني فانتحل لنفسه صفة المحلل لأنها تدرّ ربحاً وفيراً بشوية ثرثرة وشخبطة ورسم مربعات ومثلثات. علماً أن أخطاء التحليل الاستراتيجي لا تترتب عليها أية تعويضاتٍ للمشاهد المسكين، عكس تحليل البول". ضحك وقال: "الحمد لله أنا مو من هدول ولا من هدول. أنا نجار بعرف بسوّي بواب وشبابيك كويسة ومسؤول عن جودة بضاعتي".

كان لقائي به لدقائق. لم يأتِ لأنه قائدٌ ميدانيٌّ يريد أن يقود المعارك عن بعدٍ كما يفعل بعض قادتنا الميدانيين المزعومين، وإنما أتى بإجازةٍ خاطفة مرافقاً لأخته وأطفالها الصغار. نظراته إليّ كانت حزينةً وعاتبة: "لماذا تتركون البلاد وقد اقترب موعد القطاف؟"، فردّت عيناي: "كي نصبح محللين استراتيجيين ومفكرين نَصِف شكل الدولة القادمة. ولكي نعرف مَن مِن الثوار حرف الثورة عن سلميتها وسرقها من أيدي سياسيينا الفطاحل وسلمها لأيدي (الغوغاء) الذين شوّهوا جمالياتها بأصوات بنادقهم، وحجبوا بشلالات دمائهم بريق ربطات العنق (الجنيفية)، واعتدوا على صلاحيات رئيس مجلس أمناء الثورة". هنا ابتسم محمود وكأني به يقول تميمة درويشية: "أحرقنا مراكبنا وعانقنا بنادقنا. لن نترك الخندق حتى يمرّ الليل".

أما أنا فمرّ أمامي شريط الذكريات. تذكرت يوم بكيت كطفلٍ وأنا أشاهد تشييع مجموعة من الشهداء في موحسن، وبينهم الشهيد (أبو عرب) ابن مدينة حلب الذي أوصى أن يدفن في دير الزور؛ مكان استشهاده. وبكيت الآن مرةً أخرى، لكن بدون دموع، والسيارة تمضي بي مع الأمانة التي عهد بها إليّ محمود، إلى حيث السلامة والأمان، بينما هو وصقر وعلي وعبد الرحمن وأحمد وعبد الملك، والآلاف من المقاتلين المغمورين الذين أنبتهم ربيع بلادي، يعودون إلى خطوط النار مقاتلين أو إلى المقابر شهداء أبراراً ليصنعوا لنا يوماً لا تغيب شمسه.

عصام زهر الدين، وجدّه، وابنه...

في سيرة عائلةٍ مهزومة

معاوية حمّاد

لن يتاح لعصام زهر الدين أن يكتب مذكراته كما فعل جدّه اللواء عبد الكريم، رئيس هيئة أركان الجيش السوريّ الأسبق خلال عهد الانفصال بين مصر وسوريا (1961–1963). لا تبدو سيرة هذا الجدّ مثيرةً للاهتمام قبل تبوّئه قيادة أركان الجيش. فهو، بحسب شهاداتٍ مكتوبةٍ لبعض معاصريه، مجرّد ضابطٍ ضعيفٍ أمضى حياته العسكرية – قبل الانفصال – في إدارةٍ غير مؤثرةٍ في مجريات الأحداث، هي إدارة الإمداد والتموين، مما هيأ له، إضافةً إلى صفاته الشخصية المطمئنة لرؤسائه، ترقياتٍ روتينيةٍ حتى وصل إلى رتبة لواء. وبهذه الرتبة شهد عبد الكريم زهر الدين انقلاب العام 1961 الذي أدّى إلى الانفصال، بقيادة المقدّم الدمشقيّ عبد الكريم النحلاوي ومن معه من ضباطٍ برتبٍ متوسطةٍ وصغيرة. وخلال اجتماعٍ عاجلٍ لقادة الانقلاب حضره زهر الدين بمحض الصدفة ودون دعوةٍ مسبقة، وقع اختيار النحلاوي عليه ليعيّنه قائداً للجيش السوريّ، نظراً لما يتمتع به الرجل من طاعةٍ عمياء وقلة مواهب وانعدام المطامح والتأثير، وغير ذلك من صفاتٍ لن تجعل منه خطراً على مشغليه من الضباط الشبان، ولن تؤهله حتماً ليكون زعيماً في جيشٍ مراهقٍ يمكن لأيّ ضابطٍ متوسط الذكاء فيه أن يكون قائد انقلاب. كان ظنّ النحلاوي في محله، فقد أخلص له زهر الدين الى أن وقع انقلابٌ آخر هو انقلاب الضباط البعثيين بنسخته الأولى في عام 1963. وبعد سنواتٍ قليلة، ومن منفاه في لبنان، كتب زهر الدين مذكراته عن الانفصال، والتي لم تخلُ من المغالطات والترّهات لكنها خلت من أي ذكرٍ لابن شقيقته الملازم أول معزّى، وصديقٍ معزّى الجاسوس الإسرائيليّ الشهير إيلي كوهين، الذي استثمر علاقته المتينة بابن شقيقة رئيس الأركان ليؤسّس لشبكة علاقاتٍ واسعةٍ في الجيش والحكومة والمجتمع. وبعد انكشاف أمره حكم بالإعدام ونال معزّى عقوبته بالسجن لخمس سنوات.

العائلة في العهد الأسديّ

بعفوٍ من حافظ الأسد، قائد الانقلاب الأخير في تاريخ البلاد السياسيّ، والذي لم يعفُ قطّ عمّن يمكن أن يشكل خطراً ولو ضئيلاً عليه؛ عاد عبد الكريم زهر الدين إلى سوريا ليعيش أربعة عقودٍ تقريباً في قريته الصورة الكبيرة في ريف السويداء. سنواتٌ كثيرةٌ جداً لم يتذكره خلالها أحدٌ إلى يوم وفاته في عام 2009، حين رفع حفيده العقيد – آنذاك – عصام شاربيه، ووقف ببدلته العسكرية في "الأجر" ليلقي كلمة آل الفقيد مفاخراً بجدّه و"مواقفه الوطنية"، ومتفاخراً بولاء العائلة وإخلاصها لآل الأسد. وبعد سنتين من ذلك التاريخ جاءت الفرصة للعميد المرقّى حديثاً ليثبت هذا الولاء، وليكون شيئاً مذكوراً في طبقةٍ عسكريةٍ يحكمها ضباطٌ من طائفةٍ أخرى لم تتوانَ عن الإساءة لطائفته هو. لكن هذه الإساءة لم تدفع به إلا إلى المزيد من الطاعة، كما كان الجدّ لمشغليه، طاعة حملته ليقود اللواء 105 في الحرس الجمهوريّ من مجزرةٍ إلى أخرى في حمص وريف دمشق ودير الزور. ليصبح بهذه المجازر نجماً يتباهى به – كما يتمنى – أبناء جلدته، ويتباهى به كذلك ابنه البكر يعرب، الذي ولد في مرحلة ضعفٍ في سيرة العائلة، فكان مجرّد ابنٍ شكاكٍ ومضطربٍ لضابطٍ هامشيّ؛ ابنٍ متعثرٍ يحلم أن يبرز في عالم الفن والتمثيل الذي يميل إليه. لكن اندلاع الثورة قاده إلى عالم الجريمة والسلاح، فانتسب إلى ميليشيات الشبّيحة في ريف دمشق يقاتل معها، وبشكلٍ اختياريّ، في المعارك التي يريد. تتخللها زياراتٌ إلى دير الزور حيث يقود أبوه عصام قوّات الأسد هناك. يلتقط يعرب خلال هذه الزيارات صوراً تذكارية وهو يصوّب قناصته بحركةٍ استعراضيةٍ إلى هدفٍ بعيد، يتباهى بها أمام أصدقائه المتكاثرين، ويتباهى أيضاً بسجايا "الوالد" التي يتناقلها ما تبقى من مؤيدي النظام بدير الزور، من شجاعته وطيبة قلبه وتواضعه وعدله وتقرّبه من الفقراء ودفاعه عنهم وغير ذلك، ليجمّل بهذه الشائعات أو التصرفات المفتعلة شيئاً من الوجه القبيح لمجرم الحرب عصام زهر الدين. هذه العائلة، وبقراءةٍ سريعةٍ في تاريخها، لم تنجح يوماً في اتخاذ قرارٍ صائب. فهي تتسرّع دوماً وتتبع القويّ الذي لا يلبث أن يُهزم في النهاية وتُهزم هي الأخرى معه.

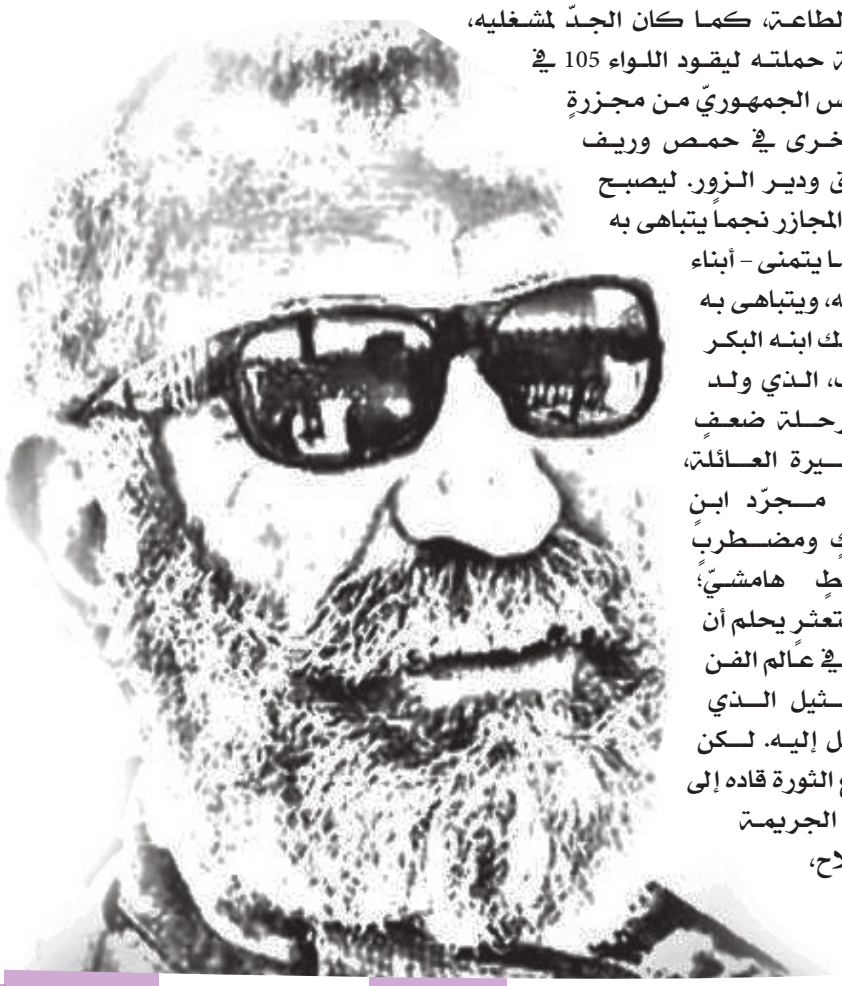

ماذا حدث في تشييع "المجاهد" هلال الأسد؟!

أبو عبيدة الحمصي

قُتل "هلال الأسد" وانتهى الأمر. لا، بل الأصح القول: "قُتل الشبيح الوغد المجرم الرعاعيّ زعيم ميليشيا جيش الدفاع الطائفي.. ابن عم المجرم زعيم قصر المهاجرين بشار الأسد وارث السلطة بتواطؤ أمريكيٍّ عن الديكتاتور الراحل حافظ الأسد". بهكذا عبارةٍ يمكن أن ينتهي أمر هذا "الحثالي" منطقياً وأخلاقياً بالنسبة إلى السوريين، على اعتبار أنه تزعّم عمليات القتل الجماعي وحملات الإبادة والاعتقال والتعذيب والإذلال بحق المدنيين في اللاذقية، بتفويضٍ رسميٍّ من رأس النظام، وبتغطيةٍ "بوتينيةٍ - لافروفية - ملالية - لطمية" منقطعة النظير.

ولأن زمن المواربة والحياء قد مات بالنسبة إلى نظام الأسد، فقد نشر تلفزيونه الرسميّ وغير الرسميّ (بكل فجاجة) نبأ مقتل "هلال الأسد" كزعيم طائفةٍ بصبغةٍ "مافيويةٍ" لا يدرك حقيقة قذارتها سوى أهل اللاذقية. ويتساءل "متسائلون": "كيف يسمح النظام بنشر نبأ مقتل رمزٍ من رموز التطهير الطائفيّ في سوريا بحجم هلال الأسد؟!". ثم يتساءل "المتسائلون" أنفسهم: "وكيف يقبل ابن أنيسة أن ينشر خبراً كهذا وهو يشكل اعترافاً صريحاً بأن نظام حكم العائلة هو الراسخ في نظام الجمهورية!"، فيجيب "المجيبون": "إن بشار الأسد، وبالرغم من كلّ بلاهته المشهود بها، يدرك أن العالم المتحضّر لا يكترث لمسألة حكم العائلة في الجمهورية السورية، فاستثمر هذا مقتل ابن عمه هلال كرسالةٍ لقسم كبيرٍ من طائفته التي بدأت أصوات النقمة ترتفع فيها بالرصاص على زعيم طائفتهم بشار المستهتر بأسرى الطائفة".

ولأن قائد "قوّات الدفاع الوطنيّ" هلال الأسد، أو "رئيس اللاذقية" كما يلقبه الأهالي هناك، قد مات؛ سواءً أكان مقتله في معارك "كسب" بريف اللاذقية كما ادّعى النظام، أم في "المربع الأمنيّ" باللاذقية في عمليةٍ نوعيةٍ لمقاتلي الجيش الحرّ، أم قضى نتيجة تصفية حساباتٍ بين "زعران الطائفة"؛ فإن هلال الأسد، الذي وصفه قائد مجزرة البيضا ببانياس "مهراج أورال" بـ"المجاهد"، قد ترك إرثاً عظيماً من قطعان الشبيحة بلا رواتب ولا عمل. إذ تكمن عظمة ذلك "المجاهد الراحل" بأنه يمتلك جيشاً خاصاً بالآلاف أتى بهم من القرى المجاورة، يحرّكهم بإشارةٍ من إصبعه لإبادة أكبر عددٍ ممكن من الوهابيين الصهاينة، أو بتعبيرٍ أدقّ "أهل اللاذقية السّنة". كما وهبه القصر الجمهوري "إسطبل الخيل" الموجود في المدينة الرياضية، وهو أكبر سجنٍ سرّيٍّ في سوريا، حيث تجري في أقبيته عمليات الإبادة الجماعية للمعتقلين.

يحتشد أتباع الشبّيح الراحل في محافظة اللاذقية لتشييعه إلى مثواه الأخير في حفلٍ مهيبٍ من الترهيب المافيوي وإطلاق الرصاص باتجاه الأحياء المعارضة التي يقطنها "الصهيو-وهابيون". وينفذ رجاله عمليات المداهمة والاختطاف والاعتقال والخطف والابتزاز غير المأجور، لأن سيدهم قد مات، وتوقفت رواتبهم حتى إشعارٍ آخر. وتندلع مشاجرةٌ في التشييع بين عائلتين لهما باعٌ طويلٌ في التشبيح، الأولى "آل صقر" والثانية "آل عباس". وقد بدأ الأمر بينهما بخلافٍ على استلام تنظيم التشييع، وحراسة الموكب، ثم تطوّرت المشادّات الكلامية بين عناصرهما لتتحول إلى إطلاق رصاصٍ عشوائيٍّ في السماء، ثم لتتوجه فوهات البنادق نحو مساكن الأحياء "السنية" المعارضة، في عملية تحدٍ لأوامر القصر الجمهوريّ بضرورة التهدئة وعدم إصدار أي بلبلةٍ تحرج قصر الكرملين المنشغل باحتلال "القرم"، ثم ليصبح الخلاف على قيادة سيارات المرسيدس الفخمة في الموكب. ثم يجتمع أخيراً رأسا العائلتين على الرصيف ويبدآن بتقاسم أملاك هلال ويتفقان على التهدئة ريثما يتم دفن "المجاهد" وسط تحليق الطيران المروحيّ على علوٍّ منخفضٍ في سماء المدينة.

سليمان الأسد في تشييع أبيه

تعجّ صفحات الشبيحة في مواقع التواصل الاجتماعي بعبارات الحزن على زعيمهم هلال الأسد، لكن حزنهم لا يكتمل إلا بعبارات الشحن الطائفي والتحريض على إبادة السوريين، وهم يتحدثون عن توريث "فرخ" الشبيح القاصر "سليمان الأسد" أعمال وأملاك والده. ولعل أكثر ما أراح قلوب الشبيحة خروج "سليمان" بسيارة دفع رباعيٍّ محمّلةٍ برشاشٍ ثقيلٍ وقيامه بمشاركة عددٍ من سيارات الشبيحة باقتحام حي الصليبة، حيث أطلقوا الرصاص الكثيف والقنابل اليدوية على أيّ شيءٍ يتحرك. ويروي أحد من شاركوا في تلك العربدة الطائفية، أن "البطل الوطنيّ" سليمان الأسد قام بعد مراسم دفن والده "المجاهد" باقتحام أحياء "الوهابيين" باللاذقية وهو يصرخ بأعلى صوته: "أنا ابن قائد الساحل يا أخوات الشـ... "!!

فلك جميل الأسد...

بمعدّل قصيدةٍ في اليوم، تكتب فلك على صفحتها الشخصية في موقع face-book. وفي قصائدها اليومية تلك تبدي هذه الشاعرة القرداحية تأثرها من مشاهد الدمار الذي لحق بالبلاد، وتلقي باللائمة على الدول الغربية وعلى دول الخليج التي تتآمر على سوريا، وتستغرب كيف يعامل الغرب معارضي حكم عائلتها على أنهم ثوار، وتجزم أن هذا الغرب منافق وبأوجه متناقضة. تقول في مقطعٍ من إحدى قصائدها اليومية:

الغرب بديمقراطيته
متعدد الوجوه
ومتقلب الافكار..
الإرهابيون الذين قدموا
من مختلف الأصقاع
ويحاربون لدينا هم بنظره ثوار..
وهم أصحاب الحق
مناضلون وأصحاب قضية
هم الكرامة وهم الأحرار..
وعندما يعودون لبلادهم
يوضعون تحت المراقبة
يصبحون مصدر قلاقل وأخطار..
لا نعجب منهم لشيء
قد يكون للحقيقة كما بعض الناس
وجهين

وقد تكون ديارهم غير هذه الدار..!!
سوريا يا حبيبتي..

وتأثرت فلك بمقتل ابن عمها هلال فكتبت عنه:

ابن العم الغالي البطل هلال الأسد
ارتقيت سلالم المجد والبطولة.. لا عجب ولا حسد.. ففي حنايا قلوبنا يجري فكر القائد الخالد حافظ الأسد..
الليلة.. لا يُعابُ قلبٌ يبكي حزناً، ولا يُستهجن رصاصٌ يعلو
وغداً.. زفة شهيدٍ إلى جنان الخلد بكل فخر يرتقي ويسمو
إلى الأرواح التي فارقتنا رغم العناق، لكم المجد ولنا أمل اللقاء
طوبى لك... هلال الأسد... وهنيئاً لك الشهادة وهنيئاً لنا بك..

ولا تكتفي فلك بهذا الإنشاء المشابه لإنشاء طالبةٍ في الصف الأول الإعداديّ، رغم كونها تضع لقباً أكاديمياً كدكتورة، بل تنتقل إلى التحليل السياسي فتورد الخبر أولاً ثم تستنتج لتخلص إلى الحقائق. فتعلق على فوز حزب العدالة والتنمية في الانتخابات البلدية: "نجاح أردوغان يثبت أن الأصولية استشرت في تركيا على حساب علمانية أتاتورك.. تركيا تقضمها الأصولية بهدوء من الداخل وستنفجر يوماً إرهاباً متطرفاً يودي بتركيا إلى الزوال والتقسيم".

تبدي ابنة جميل وشقيقة منذر وفواز كرهها للطائفية، وتزعم أنها لم تفكر يوماً بهذه الطريقة. وربما كانت صادقةً في هذا، فهي تنظر إلى جميع السوريين على أنهم عبيد، فلماذا التمييز بينهم طالما كانوا مخلصين في طاعة الأسياد وخدمتهم؟

ناجي جميل

غيّب الموت قبل أيام قليلة قائد القوى الجويّة الأسبق اللواء ناجي جميل، بعد سنواتٍ طويلةٍ من التقاعد قضاها في منزله بحيّ المالكي بدمشق. ولد ناجي في دير الزور عام 1932، لأسرةٍ غريبةٍ عن المنطقة جاءت إليها، بحسب رواياتٍ كثيرة، من الساحل السوريّ، أو من السلمية في ريف حماة، بحسب رواياتٍ أخرى. التحق جميل بالكلية الحربية وتخرج فيها عام 1954، ثم أوفد إلى بريطانيا لدراسة الطيران الحربيّ. ومثل غيره من الضباط البعثيين شارك في أول انقلابٍ للحزب، وكذلك في الانقلاب الثاني. واصطفّ إلى جانب حافظ الأسد في صراعه مع خصمه اللدود صلاح جديد، الى أن نجح الأسد في انقلاب عام 1970، ليعين تابعه المخلص ناجي كقائدٍ للقوى الجوية. واشتهر جميل خلال السنوات الثمانية التي قضاها في منصبه هذا كواحدٍ من أبرز الضباط المقرّبين لحافظ الأسد، وكذلك كوجهٍ سنيٍّ حرص الأسد على حضوره في أوجه سلطته، إلى أقيل عام 1978، بعد شائعةٍ أطلقتها أجهزة المخابرات بأنه تفاخر في جلسةٍ خاصةٍ أنهم مثلما جاؤوا بحافظ الأسد إلى الحكم قادرون على انتزاعه منه. لكن هذا مجرّد افتراءٍ على التابع المخلص، فالرجل أمضى سنوات خدمته في طاعة الأسد ولم يتوان عن فعل أيّ شيءٍ

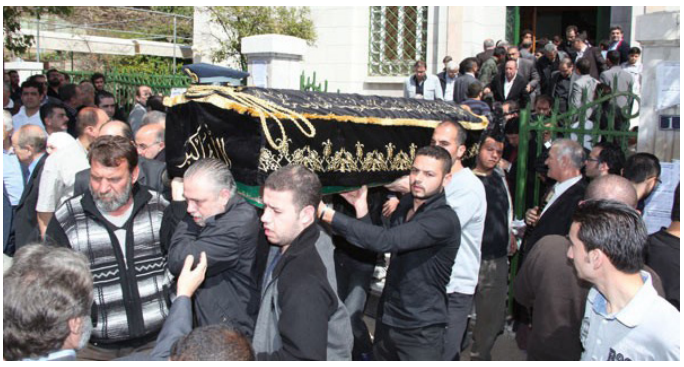

تقرباً له. ومنذ ذلك التاريخ لم يذكر لناجي جميل أيّ دور، رغم عضويته في القيادة القومية لحزب البعث، وهو منصبٌ شكليٌّ لا يتيح له أي حضورٍ ذي قيمة باستثناء بعض الأعمال الهامشية، مثل اللقاء مع بعض المعتقلين السياسيين أو المشاركة في بعض الاجتماعات والفعاليات الحزبية عديمة التأثير. وعلى ما يبدو من سيرته، تقبل جميل قدره برضوخٍ تامٍّ دون تذمرٍ أو احتجاجٍ أو حتى مراجعةٍ لدوره الإجراميّ في توطيد حكم حافظ الأسد. إنّها ستٌّ وثلاثون عاماً قضاها ناجي جميل في التقاعد، لم يعرف الكثير عن حاله خلالها، لكن الأكيد أن مشاعر الفراغ والعدم التي أحسّ بها لم تدفع به إلى صحوة ضمير.

في ذكرى البعث...

بعد أيام ستأتي ذكرى تأسيس حزب البعث، في السابع من نيسان. نتذكّر، نحن السوريين الذين ولدنا في مملكة الحزب، هذا اليوم على أنه يوم عطلةٍ فقط، عطلةٍ تخلصنا من أعباء المدرسة وواجباتها الثقيلة، وتتيح لنا الاستغراق في النوم حتى ساعات الضحى، ثم الانطلاق إلى نهارٍ كاملٍ من اللعب، ودون الالتفات إلى مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة في برامج التلفزيون أو في اللافتات المعلقة على واجهات الأبنية الحكومية أو في حفلات تدشين المنشآت ووضع حجر الأساس وقصّ الشريط الحريريّ، وغير ذلك من الأنشطة التي يقوم بها المسؤولون المحليون في هذه المناسبة. وفي يوم المدرسة التالي نردّد أناشيد البعث قبل تحية العلم الصباحية، كي نكون مستعدين دائماً، نحن الرفاق الطليعيين "لبناء المجتمع العربيّ الاشتراكيّ الموحّد والدفاع عنه"، أو في حصة النشيد المقرّرة على تلاميذ المرحلة الابتدائية، والتي نردّد فيها وبدون تذمّر الأناشيد الأسدية والبعثية، لا فرق بينهما، فالمهمّ بالنسبة إلينا أن نطلق أصواتنا ونصرخ محطّمين هدوء المدرسة، ومن دون اكتراثٍ أو حماسةٍ لما نقول. فواجبنا أن نغنّي عن حزبنا العملاق في ذكرى تأسيسه، وأن نغنّي نشيد الشكر القصير المؤلف من كلمةٍ واحدةٍ هي "نشكر"؛ نعدّد حروفها حرفاً حرفاً ثم نكرّرها كاملةً في مقطعٍ واحدٍ ثلاث مرات، ثم نصرخ بحرف الهاء المكسور.

ومن دون أن نسأل معلمة النشيد طبعاً لمن يوجّه هذا الشكر أو لماذا حزبنا عملاق؟ وقد كان هذا الحزب عملاقاً فعلاً في حجم الخراب الذي ألحقه بكلّ صغيرةٍ وكبيرةٍ من حياة السوريين ودولتهم التي أفردت مادةً من دستورها بأن يكون هذا الحزب قائداً أبدياً لها ولمجتمعها.

ليس مهماً في هذه الأيام العودة إلى ذلك اليوم المشؤوم من العام 1947، حين اجتمع بعض الحمقى والرومانسيين ليؤسّسوا هذا الحزب. وليس مهماً أيضاً البحث في أسباب انحراف الحزب عن مقولاته النظرية، كما يفعل بعض المتعاطفين مع تاريخه، حين يلقون بكل اللائمة على حافظ الأسد، ويقولون إن العدل يقضي بالفصل بين نظرية الحزب وتطبيقاته الكارثية على المجتمع السوري، وهذا صحيح. وصحيحٌ كذلك أن النظرية البعثية لا يمكن أن تؤدّي إلا إلى مرحلةٍ كالمرحلة الأسدية، ولا يمكن أن تستمرّ إلا برجالٍ من طينة حافظ الأسد.

واليوم، وبعد سنواتٍ ثلاثٍ من الثورة، لم يبق من البعث إلا بعض المظاهر هنا وهناك، وتحوّل إلى موقع الدفاع عن النفس أمام استخفاف الأنصار الأسديين بمختلف تموضعاتهم، شبيحةٍ مستقلين أو عسكر أو منتسبين الى أحزابٍ وتشكيلاتٍ موالية، وغير هؤلاء من المغرمين بتأليه بشار الأسد.

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

المجلس المحلي في دير الزور

يوزع الخبز مجاناً على الأهالي

عدسة أحمد